

حدث بالفعل
17
Looloo
www.dvd4arab.com
تحرير
جلال عبد الفتاح
إشراف
أ / حمدى مصطفى
تضحيات
من أجل الآخرين

مقدمة المحرر

إن أثمن ما يمتلكه الإنسان هو نفسه الوثابة وإرادته للحياة وشعوره بالكرامة . ولن يشعر المرء حقًا بأنه إنسان جدير بالحياة إلا إذا بذل من ذات نفسه ، وعن طيب خاطر ، ودون تكلُف أو زهو . فما تنفقه من خير فهو لأنفسنا [البقرة ـ 272] . ولكن ليس هناك ما هو أندر فى الإنسان من فعل جاء من ذاته هو ، فالهبة الوحيدة هى التى تكون جزءًا من نفسك .

والعطاء من ذات النفس يجعل الحياة أكثر امتاعًا ، ويعيطها القيمة والمعنى ، ويصيرها طيبة فعلاً ، حافلة بالاهتمامات الغنية ، فما نقدمه من خير لأنفسنا نجده عند اللّه خيرًا [المزمل ـ 20] . فإذا أردنا السعادة حقًا لحياتنا ، فعلينا أن نتلمسها خارج أنفسنا . وتأمل طويلاً ما قد ينقاه أولئك الذين يحبون أنفسهم من جزاء ، أو هم مشغولين بها على الدوام فى أنانية واضحة ، فإنهم سرعان ما يفقدون القدرة على الاستمرار فى الحياة ، وتنتابهم الكآبة والملل والوحدة . من طول تكرار آرائهم ، ومن استمرار ضغوط رغباتهم فى تحقيق مصالحهم . وهم يحسبون أن بُخلهم بما آتاهم اللّه من فضله هو خير لهم [آل عمران ـ 180] . ولا يعرفون أن ما ينفقونه لن يُنقص من أموالهم شيئًا ، بل يخلفه اللّه فهو خير الرازقين [سبأ ـ 39] .

والمال أقل ما يمكن أن يهبه المرء بقاءً ، فلا يقلقك أن تكون غير ذى مال ، وحسبك أن تختار مجالاً ترى فيه اتجاهًا واضحًا إلى دفع البسمة إلى شفاه الآخرين من حولك , فأى شىء يدخل السرور على القلوب ، يكون فوق كل حساب مادى ، فى هذا العالم الذى يتميز بالقحط العاطفى ، ويكثر فيه العناء الشديد ، ويقل فيه الابتهاج الحقيقى الصادر عن القلوب .

ويختلف ما يمكن أن يبذله الإنسان ، فالبعض لديه الوقت الكافى أو النشاط العارم ، أو المهارة الدقيقة أو الآراء الصائبة أو الموهبة الخاصة . كما أن كل منا يستطيع ببساطة أن يمنح التقدير والاهتمام والتشجيع والأمل ، أو التيسير فى قضاء المصالح والخدمات دون عناء ، أو حتى المقابلة المرحبة الباسمة دون جهامة وغلظة . فلكل درجات مما عملوا [الأحقاف ـ 19] ، وما نفعله من خير يعلمه اللّه [البقرة ـ 197] .

وهناك ألوان كثيرة من العطاء ، أعلاها قيمة هى التضحية بالنفس والشهامة الحقة ، والعمل البطولى ، والشجاعة العنيدة فى دأب ومثابرة . كما أن هناك أنواع أخرى من التضحية ، تنطوى على الكثير من الصدق والنبل . كالأب الذى يسعى لتربية أولاده ، والأم التى تبذل من راحتها لإسعاد أولادها . أو المسئول الذى ييسر ولا يعسر ، ويقضى هموم الناس فى أمانة وإخلاص ، مما يحفظ كرامة المرء ويعطر حياتنا .

ومن المستحيل أن تهب شيئًا من ذاتك ، دون أن يرتد إليك صنيعك . وغالبًا ما يجئ هذا الجزاء فى صورة غير متوقعة ، ومن مصدر آخر ، على ألا تحاول أن تحصل على شىء فى مقابل ما قدمت .

وأسمى ما يمكن أن تقدمه من بذل وعطاء وإنفاق وتضحية ، هو ما نفعله ابتغاء وجه اللّه [البقرة ـ 272] . ويؤكد القرآن الكريم أننا لن ننال البر ـ أى الخير ـ حتى ننفق مما نحب [آل عمران ـ 92] . فعلينا إذن أن نبذل ما فى وسعنا لجعل الحياة أمتع وأقوى تحريكًا للنفوس ، وأكثر اهتمامًا لنا وللآخرين .

مصر الجديدة

جلال عبد الفتاح

1ـ خاطرت بحياتها فى حربين عالميتين .

[بقلم : فيرجينى هنرى]

كان ذلك فى صباح أحد الأيام من شهر أكتوبر 1941 ، حينما كانت السيدة إيميلين موريو ـ إفرار Emilienne Moreau - Evrard مشغولة فى مطبخ منزلها فى مدينة لينز Lens الفرنسية التى تقع فى أقصى الشمال قرب الحدود البلجيكية . لم تكن إيميلين تعد وجبة العشاء ـ وهى الوجبة الرئيسية فى دول أوروبا ـ ولكنها كانت تعد بعض الرزم الخفية فى أوراق الصحف للتوزيع .

فجأة دق جرس الباب على غير موعد ، فدفعت باللفافات فى حوض الغسيل بسرعة وأخفتها ببعض الملابس وأسرعت إلى الباب . كان هناك جنرال ألمانى ـ لواء ـ وحوله مجموعة من كبار الضباط وخلفه قوة كبيرة ألمانية مسلحة . تقدم الجنرال إلى الباب وأدى التحية العسكرية للسيدة إيميلين بينما كعبى حذائه الطويل يصطفقان بشدة ، ثم انحنى فى صمت وتقدم نحو ردهة المنزل ، حيث تبعه الضباط الآخرون .

أفاقت إيميلين من دهشتها ، وقد شحب وجهها ، وغاضت الدماء من وجنتيها . ولكن الجنرال الألمانى بادرها بالقول مبتسمًا « مدام موريو .. ألا تعرفيننى ! » وغمغمت إيميلين فى صوت خفيض أنها لا تتذكر ذلك . وتابع الجنرال كلماته فى مودة «ولكننى لم أنسك . عندما عرفتك كنت برتبة ليوتينانت ـ ملازم ـ Lieutenant . وكان

ذاك عام 1915 عندما كنت تابعًا لفرقة الحرس الألمانى Girenadier فى منطقة لوسين ـ جوهيل Loosen - Gohelle . لقد كنت غاية فى الشجاعة ، ويقولون أنك قد حصلت على عدة أوسمة ، ويسعدنى أن أراكِ بخير . ولكن هل أطلعت أركان حربى على هذه الأوسمة ؟ »

ظهرت علامات الارتياح على وجه إيميلين ، وهرعت لإحضار صندوق صغير من الجلد المبطن . وأخذت تراقب كبار الضباط الألمان المنتصرين ، وهم يفحصون أكبر مجموعة من الأوسمة يمكن أن تحصل عليها سيدة فى حرب . منها صليب فرنسا للحرب العالمية الأولى Freneh Croix de Guerre ، ووسام جوقة الشرف الفرنسى من الطبقة العسكرية Legion of Honour ، وصليب المحاربين البريطانى Combattant`s Cross ووسام الصليب الأحمر الملكى البريطانى Royal Red Cross ، ووسام سانت جون Order Saint John الأسكتلندى ، والميدالية العسكرية البريطانية Military Medal التى لا يحملها غالبًا إلا الرجال الذين خبروا المعارك العنيفة . وقف الضباط الألمان فى صمت احترامًا للسيدة الشجاعة ، ووعدها الجنرال بأن شيئًا لن يحدث لها ولأسرتها طالما هو قائد للمنطقة العسكرية . ثم حيوها باحترام وغادروا المنزل .

ويبدو أن الجنرال الألمانى قد افترض أن السيدة التى كانت بطلة فرنسا فى الحرب العالمية الأولى ، سوف تستكين فى هذه الحرب العالمية الثانية وتكتفى بما حققته من فخار . خاصة وأنها قد تجاوزت الأربعين من عمرها ، ولديها أسرة وأبناء ، ولا يمكن أن تعرضهم للخطر .

ولا شك أن هذا الجنرال الألمانى وأركان حربه قد دهشوا بعد ذلك ، للأوسمة الجديدة التى حصلت عليها إيميلين فى مقاومتها للاحتلال الألمانى لبلادها ، وهى التى كانت تحت حمايتهم . ومنها وسام الحرب العالمية الثانية الفرنسى ، ووسام جوقه الشرف الفرنسى من طبقة الضباط . وفوق كل ذلك وشاح Ribbon التحرير الفرنسى ـ الأخضر والأسود ـ النادر ، الذى لم تحصل عليه سوى ست سيدات من المقاومة الفرنسية .

بالإضافة إلى الأوسمة البلجيكية والبريطانية والأمريكية وغيرها .

* * *

بدأت سيرة إيميلين كمقاتلة شجاعة ، بطريقة مفاجئة وعفوية للغاية . كان ذلك فى السادس من أكتوبر 1914 ، عندما كانت فى السادسة عشر من عمرها ، فتاة جميلة ورقيقة ، ذات عينين سمراوين Brunette ، تعيش مع والديها فى مدينة لوسين ـ جوهيل القريبة من لينز شمال فرنسا ، وهذه المنطقة معروفة بأنها منطقة مناجم ومصانع ومزارع . ولكن هذه المدينة الصغيرة أصبحت بالصدفة مسرحًا لمعارك دموية عنيفة . فقد كان منزل الأسرة يطل على ميدان واسع ، يمر به خط القتال بين القوات الفرنسية والألمانية .

كانت إيميلين ترتقى الطابق العلوى للمنزل ، وتراقب منه أعمال القتال والتحركات العسكرية فى كلا الجانبين ليلاً . وشاهدت على نور القمر ما يبدو على أنه لمعان لأشياء معدنية فى الجانب

الألمانى . فتأكدت أن القوات الألمانية تعد كمينًا من المدافع الرشاشة المموهة بالشباك خلف مدخل المنجم ، مما يسمح لهم بالسيطرة على المسافة التى تفصلهم عن القوات الفرنسية . مما أصابها بقلق بالغ على مصير الجنود من أهل وطنها ، فجلست تراقب كلا الجبهتين فى توتر شديد .

وفى ضوء الفجر ، شاهدت فى ذعر سرية فرنسية من المشاة وهم يتجهون نحو الكمين الألمانى . فنزلت بسرعة ، واندفعت عبر الميدان تحت نيران المدافع الرشاشة الألمانية الكثيفة ، وهى تصيح « لا تتقدموا .. عودوا للخلف ... الألمان نصبوا كمينًا لكم ! » . وكان لشجاعتها فى ذلك اليوم ، الفضل فى إنقاذ أكثر من 120 جنديًا فرنسيًا من مذبحة مروعة .

ولكن ظروف القتال حتمت على قوات الحلفاء الانسحاب من المنطقة بعد أيام ، حيث سيطر عليها الألمان . وجرى اعتقال إيميلين ، واستجوبوها فى مقر قيادتهم ، فقد كانوا يعرفونها ، ولكن الضباط الألمان قدروا شجاعتها ، واحترموا عملها ـ ويبدو أن الجنرال كان أحدهم عندما كان فى بدء حياته ـ وأعادوها بسيارة خاصة إلى أسرتها فى نفس اليوم ، بعد أن حذروها من القيام بمثل هذه الأعمال .

ولكن لم تكن إيميلين من النوع الذى يخضع لأى تهديد ، وأخذت على عاتقها القيام بأعمال المقاومة للغزاة بطريقة متتابعة .

فقد حدث مثلاً أن القائد الألمانى فى المنطقة أصدر تحذيرًا إلى جميع السكان والقرى ، بعدم الاحتفال بيوم التحرير وتحطيم سجن الباستيل Bastille ، فى 14 يوليو عام 1915 ـ وهو أكبر أعياد فرنسا حتى الآن ـ وأن أى مظهر من مظاهر الاحتفال سوف يعرض صاحبه لعقوبة الموت رميًا بالرصاص . وفى فجر ذلك اليوم اصطحبت إيميلين أختها وأخوها إلى الحقول لجمع الزهور البرية . وبعد ساعات كانت هناك باقات من الزهور فوق القبر الجماعى لحوالى 300 مزارع فى فناء الكنيسة المحلية ، قتلوا أثناء المعارك .

وفى خريف ذلك العام ، أخذت جبهة القتال تقترب مرة أخرى من مدينة لوسين وفى مساء أحد أيام شهر أكتوبر ، ارتجت الأرض بشدة عندما بدأت المدافع الثقيلة البريطانية فى دك التحصينات الألمانية فى المنطقة والمدينة . ثم بدأت القوات البريطانية بقيادة الفيلد مارشال ـ مشير ـ دوجلاس هيج Douglas Haig تهاجم المواقع الألمانية داخل المدينة وحولها .

يقول ويليم ديتز Wilhem Dietz ـ أحد الجنود الألمان الذين حضروا تلك الموقعة داخل مدينة لوسين «كنا نحاول أن نحتفظ بمواقعنا ، وأن نمنع قوات الحلفاء من التقدم نحو مركز المدينة . وفجأة شاهدنا فتاة نحيلة تتقدم القوات البريطانية ، ولاتبالى بطلقات المدافع الرشاشة ، وتجرى هنا وهناك وهى تشير إلى المواقع الضعيفة فى دفاعاتنا . ثم تحمل الذخيرة والطعام والماء للجنود ، وتضمد الجرحى منهم . لقد كانت فى كل مكان مثل الملاك الحائر ، حتى إنها ألهبت حماس البريطانيين ، فقاتلونا بضراوة ، حتى دفعونا للخلف ! »

قامت إيميلين أيضًا بإعداد غرفة واسعة فى منزل أسرتها ، كمستشفى للطوارئ للألاى الاسكتلندى . ولأخذت طوال أسبوع تساعد فى علاج 400 جندى جريح ليلاً ونهارًا ، قبل نقلهم إلى المستشفى العسكرى . حيث أشاد بعملها رئيس القسم الطبى فى الألاى رسميًا ، مما دعا الفيلد مارشال هيج أن يكتب إليها بعد انتهاء المعركة ، معبرًا عن إعجابه الشديد بأعمالها البطولية . بل إن المارشال فوش Marshal Foch ـ قائد القوات الفرنسية ـ نوه ببطولتها فى أوامره الرسمية العسكرية . مما جعل أهل العاصمة باريس يتغنون باسمها مرسلين تحياتهم لها . وعند انتهاء الحرب ، تقاعدت البطلة ، وانسحبت فى هدوء لحياتها الخاصة .

* * *

كانت إيميلين قد تزوجت من رفيق صباها جوستين إيفرار Justin Evrard وكانت حياتها سعيدة وهادئة مع طفليها وزوجها ، بعد انتقالهم إلى مدينة لينز فى نفس المنطقة . حينما تعرض وطنها مرة أخرى للاحتلال الماني ، وتدفقت قوات النازى إلى باريس فى 14 يونيو 1940 . وأصبح الساحل الفرنسى المطل على المحيط الأطلنطى تحت السيطرة الألمانية . وبقى من فرنسا منطقة غير محتلة فى الشرق والجنوب ـ تديرها حكومة فيشى الموالية للألمان . وقدر لإيميلين وأسرتها كفاح الدخلاء مرة أخرى .

فى ذلك الوقت كانت إيميلين وزوجها يعملان فى توريد أجهزة إطفاء



صورة محفوظة فى متحف المقاومة الفرنسية لمدام إيميلين



فرق البانزر الألمانية فى شوارع ميناء مارسيليا للقضاء على المقاومة الفرنسية عام 1942

الحرائق والمواد المطهرة والقاتلة للجراثيم إلى سلطات البلديات المحلية فى المنطقة ، وهو عمل مناسب كغطاء ممتاز لمهامهم الخفية . وعندما قام رجال الجيستابو Gestapo ـ البوليس السرى الألمانى ـ بالتساؤل حول أسباب قيام إيميلين وزوجها برحلات دائمة فى المنطقة الشمالية ، أظهرت لهم العديد من أوامر التوريد لقطع الغيار والمواد المطهرة لشبكات المياه والصرف الصحى لمختلف السلطات البلدية فى القرى والمدن .

ولكن حدث فى سبتمبر 1941 ، أن انفجر مصنع للبنزين الصناعى المركب بتكاليف عالية Synthetic - Petrol قرب لفين Lieven ، بعد أيام قليلة من زيارة جوستين للمدينة . فاعتقله الجيستابو لسبعة أشهر ، قبل أن يطلقوا سراحه . ولم تمر ثلاثة أيام ، عندما عاد الزوجان إلى منزلهما فى مدينة لينز ، ليجدا استدعاءً مطبوعًا لجوستين إلى مقر القيادة الألمانية ، ومعه أوراق إثبات الشخصية . وكانت إيميلين تعرف معنى ذلك تمامًا ، فأعدت بسرعة حقيبة صغيرة وحثت زوجها على الهرب والخروج فورًا من المنزل .

لم تمر ساعات قليلة ، وحضر رجال الجيستابو لاعتقال زوجها ، فادعت أنه فى جولة للعمل وسوف يحضر بعد أيام . وهكذا أصبحت حياة إيميلين هى المقابل ، إن لم يسلم زوجها نفسه فى أقرب فرصة وتصرفت إيميلين بسرعة ، وحصلت على تصريح مرور إلى المنطقة غير المحتلة من فرنسا ناحية الجنوب ، بمساعدة مترجم بولندى فى القيادة الألمانية فى المنطقة الشمالية . وانضمت إلى زوجها فى مدينة ليون Lyons .

وهناك انضمت إيميلين على الفور إلى فرق المقاومة السرية الفرنسية ، وقامت بعشرات المهام السرية ، وحمل مئات الرسائل للتسيق بين فرق المقاومة فى القرى والمدن المختلفة . وقامت بمساعدة عشرات الطيارين البريطانيين والأمريكيين الذين سقطت طائراتهم أثناء الغارات خلف خطوط القتال . وتزويدهم بالأوراق الشخصية المزورة والملابس والأطعمة ، ثم تهريبهم من منطقة إلى أخرى ، حتى الحدود الفرنسية الأسبانية ، حيث تقوم فرق أخرى بتهريبهم عبر جبال البرانيس .

وجازفت بحياتها مرات كثيرة وهى تصطحب هؤلاء الطيارين فى ملابسهم التنكرية ، وهم لا يعرفون كلمة فرنسية واحدة . وأمكنها دائمًا عبور نقاط التفتيش الألمانية ـ وما أكثرها ـ وهى تحمل خرائط سرية أو أوراق شخصية مزورة للآخرين ، أو مبالغ نقدية كبيرة لتوزيعها على رجال المقاومة ، أو جهاز لاسلكى صغير لا بد من تسليمه لمكان ما . ولو قبض عليها فى أى وقت لأرسلت إلى معسكرات الاعتقال فى ألمانيا ، مثل العديد من رجال االمقاومة السرية الذين وشى بهم بعض المتعاونين مع قوات الاحتلال .

ومع مرور الوقت زادت سيطرة الألمان ونشاط الجيستابو ، وكان رجال المقاومة الفرنسية يدركون مدى صعوبة الاستمرار فى نشاطهم السرى تحت الأرض ، بعد اعتقال العشرات منهم . فلن يمكنهم المراوغة والاختباء والتنكر والتزوير والتخريب وما إلى ذلك من أعمال ، وهم يجابهون ثلاثة أعداء ليل نهار . وهم القوات الألمانية المحتلة مع

الجيستابو الرهيب ، وبوليس حكومة المارشال بيتان Petain فى مدينة فيشى جنوب فرنسا والموالية للألمان طبقًا للمعاهدة الموقعة بعد هزيمة فرنسا ، ثم ميليشيا دارنان Darnand Militia ، التى شكلها الجيستابو من الفرنسيين المتعاونين مع الألمان ، فضلاً عن الوشاة الذين يعملون بطريقة فردية طبقًا للظروف الخاصة بهم ، والذين أجبروا على أداء مثل هذه الأعمال ضد وطنهم .

ويبدو أن الحظ كان فى جانب إيميلين ، فرغم أنها كانت مطلوبة بصفة دائمة من قبل الجيستابو فى جميع أنحاء فرنسا فى بداية عام 1943 ، إلا أنها قامت فى منتصف نفس العام بمهمة خطيرة . كان عليها أن تبلغ أوامر مهمة شخصية إلى أحد قادة فرق المقاومة ، يعمل مديرًا لإحدى المدارس فى مدينة تونون Thonon ، اسمه فيكتور . فلما وصل القطار إلى المحطة ، لاحظت وجود عدد كبير من الجنود الألمان أكثر من المعتاد .

كان معها بطاقتين مزورتين ، فأخرجت إحداها باسم كاترين روبين ، وهكذا خرجت عبر نقاط التفتيش فى المحطة . ثم أخذت تنطلق فى اتجاه المدرسة ، حينما اقترب منها شاب بدراجته وكأنه على وشك السقوط ، وقال فى همس «كافيتريا نورماندى ، ادخلى من الباب الخلفى ! » . وفى المقهى عرفت أن فيكتور قد اعتقل صباح نفس اليوم . ووجدوا فى أجندته الخاصة أسماء وعناوين كثيرة ، منها جين بورير . وهو اسم إيميلين المزور فى البطاقة

الأخرى التى لم تستخدمها ، وكان الألمان يبحثون عنها بالاسم فى المحطة . هذه الحادثة بالتحديد أكدت لإيميلين أن وباء الوشاية قد اجتاح فرنسا ، مما يهدد العمل السرى للمقاومة ، ولابد من التصدى بحسم لهذه المسألة . وقد حققوه بلا رأفة ، حتى فيما بعد انتهاء الحرب .

ولكن الحظ ليس هو العامل الوحيد ، ولايفسر نجاح إيميلين كعضو نافذ فى المقاومة الفرنسية . فمثل هذا العمل يقتضى إرادة لاتقهر ، وأعصاب لاتهتز ومثابرة لاتلين ، فضلاً عن إنكار الذات تمامًا ، وعدم الثرثرة والفلتات التى تكشف الأسرار ، حتى الاسم الحقيقى . وهو ماتتحلى به إيميلين كبطلة فرنسا فى الحرب العالمية الأولى ، ولكنه لايبدو إطلاقًا على مثل هذه السيدة الأنيقة التى تعدت الأربعين ، وتظهر كسيدة بريئة لاشأن لها بالحرب . رغم أنها اختبرت الجوع والتشرد والتخفى والهروب مرات عديدة ، مما يشق على الرجال .

* * *

الأخطر من ذلك أنها تطوعت بإرادتها لجمع المعلومات عن التحركات العسكرية ، والمواقع الألمانية ونقلها عبر اللاسلكى إلى الحكومة الفرنسية فى المنفى بقيادة الجنرال شارلس دى جول Charles de Gaulle فى لندن . وفى إحدى المرات كان مطلوبًا من رجال المقاومة تحديد مواقع الصواريخ الألمانية على السواحل الشمالية الفرنسية ، فى منطقة با دى كالية Pas - de - Calais .

وهى مهمة خطيرة لأى شخص ، ولكنها بالنسبة لمدام إيميلين ـ المطلوبة من الجيستابو ـ فهى الجنون بعينة . ولكن إيميلين تطوعت لهذه المهمة ؛ باعتبار أنها كانت تقيم فى هذه المنطقة ولها أصدقاء فيها .

كانت هذه المهمة فى الواقع لشبكة التجسس والاستطلاع الفرنسية ، بقيادة ميشيل هولارد Michael Hollard . الذى أبلغ المخابرات البريطانية فى سويسرا بأمر الصواريخ الألمانية من طراز V-1 , V-2 ، حيث قامت القاذفات البريطانية بضرب منصات الإطلاق التى يقيمها الألمان من الأسمنت المسلح على الساحل لضرب لندن وماحولها . فلما قُبض على ميشيل ومعظم شبكته ، طلبوا من أعضاء المقاومة ـ عبر الجنرال ديجول ـ التأكد من وجود قواذف أسمنتية أخرى لضربها . لم تذهب إيميلين إلى الساحل ، ولكنها لجأت لبعض أصدقائها من رجال الأعمال والمقاولين فى المنطقة ، الذين زودها بمعلومات كافية وصحيحة ، ثم عادت إلى ليون . وبعد ساعات قامت الطائرات بضرب المواقع الجديدة بالضبط .

عند انتهاء الحرب فى أوائل مايو 1945 ، عادت إيميلين مع زوجها لاستئناف حياتهما فى مدينة لينز فى هدوء ، ولم تظهر فى باريس إلا فى المناسبات القومية . وعندما زار الجنرال ديجول المدينة عام 1959 ـ عندما كان رئيسًا للجمهورية ـ كانت إيميلين على رأس الوفد الذى استقبله ، قائلاً لها « إيميلين ـ دعينى أقبلك ـ فأنت بطلة فرنسا فى حربين ! » . ولكن النهاية جاءت هادئة فى يناير 1971 ، كما عاشت فى هدوء بعيدًا عن الأضواء .

بعد ذلك بسنوات ، طُلب من حفيدتها كاترين Catherine - 12 سنة ـ كتابة موضوع إنشائى حول شخصية تثير إعجابها . ومر أسبوع بعد أن قدمت الطالبة موضوعها ، حينما وصل استدعاء لوالديها إلى المدرسة . قال لهما المدرس أن الموضوع جيد ، ولكنه يتضمن أحداثًا خيالية أكثر مما ينبغى . وطلب منهما عرض ابنتهما على طبيب نفسى ، فقد كتبت كاترين موضوعها عن جدتها .

والمدرس الشاب لا يعرف بالطبع هذا التاريخ الطويل لحربين عالميتين مضتا بكل أحداثهما المروعة . ولكن كل كلمة كتبتها الحفيدة كانت صحيحة تمامًا ، فقد كانت أعمال إيميلين مثيرة للدهشة حقًا . وهذا هو جزاء العظماء دائمًا ، فلا أحد يعتقد أنهم كانوا موجودين فعلاً .

* * *



بتصرف مختصر عن المصدر :

Der Spiegel Magazine , by Virginie Henry, Dated July 1981 .

Brandstwiete 19, 20457.

Hamburg, Germany .

2ـ إبطال مفعول قنبلة نووية حية ..

[بقلم : جارى كيلى]

خطط الزعيم الألمانى أدولف هتلر لصناعة القنبلة النووية كى يخضع بها العالم . واشترك فى هذا المشروع كبار علماء الفيزياء الألمان ، تحت إشراف الدكتور فيرنر هايسنبيرج Werner Heisenberg ، وإنتاب الذعر قيادة الحلفاء حينما عرفوا بالأمر ، خاصة بعد أن قطعت الأبحاث الألمانية شوطًا بعيدًا فى هذا المجال .

اجتمع رئيس الوزراء البريطانى ونستون تشرشل ، مع الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت سرًا فى 11 أكتوبر 1941 ، حيث تم الاتفاق رسميًا على تنسيق الجهود العلمية بين البلدين لمحاولة عمل شىء فى مجال القنابل النووية المجهولة فى ذلك الوقت . وفى نفس الوقت كثف سلاح الطيران البريطانى غاراته على مراكز الأبحاث الألمانية ، على أمل تعطيل إنتاج مثل هذه القنبلة بأى حال . ولكن المعارك الحربية انتهت فى المسرح الأوروبى ، حينما وقعت ألمانيا وثيقة الاستسلام فى ريمز Reims شمال باريس فى منتصف ليل يوم 8 مايو 1945 . وعثرت قوات الحلفاء على القنبلة النووية الانشطارية الألمانية ، قبل أن يستطع العلماء الألمان تجربتها .

تمكن العلماء الأمريكيون من تصنيع أول قنبلة نووية انشطارية Fission ـ طبقًا لمشروع مانهاتن ـ حيث تم تجربتها لأول مرة فى الخامسة والنصف من صباح 16 يوليو 1945 ، فى صحراء نيو مكسيكو New Mexico ، على بعد 80 كيلومترًا من مدينة ألا موجوردو Alamogrdo . ولما كانت المعارك مازالت مستمرة فى المسرح الباسفيكى ضد اليابان بخسائر فادحة ، فقد استخدمت هذه القنبلة الجديدة لوضع حد لهذه الحرب . وأسقطت القنبلة الأولى فوق ميناء هيروشيما فى فجر يوم 6 أغسطس 1945 . ثم الثانية فوق ميناء ناجازاكى فى صباح يوم 9 أغسطس ، وفى صباح يوم 14 أغسطس أعلنت اليابان استسلامها .

حاولت الولايات المتحدة فرض حظر على انتشار الأسرار النووية ، كى تحتفظ بتفوقها الفريد ، حتى أنهم منعوا البريطانيين من الحصول على المواد النووية ، أو الاطلاع على المزيد من الأسرار والأبحاث ، رغم اتفاقهم السرى السابق واشتراكهم فى صنع القنبلة . وقرر البريطانيون صنعها بأنفسهم ، وفجروا قنبلتهم الأولى فى ديسمبر 1948 فى صحراء أوستراليا . وفوجئ الجميع بقيام الاتحاد السوفيتى « روسيا » بتفجير القنبلة فى 23 سبتمبر 1949 فى سيبيريا .

أفاقت الولايات المتحدة على الواقع ، ومن أنها لم تعد تحتكر القنبلة النووية ، فأمر الرئيس الأمريكى هارى ترومان فى 31 يناير 1950 بصنع القنبلة النووية الحرارية الإندماجية Fusion ـ أو الهيدروجينية كما تعرف . مع تطوير وتحديث القنبلة النووية الانشطارية ـ التى تعرف باسم القنبلة الذرية ـ الموجودة بالفعل .

كانت القنبلة الذرية التى أُلقيت على هيروشيما ضخمة بالفعل ، طولها حوالى أربعة أمتار ونصف المتر ، وقطرها حوالها المتر ونصف المتر ، ووزنها 4535 كيلوجرامًا ، ومع ذلك أطلق عليها اسم « ليتل بوى » أى الولد الصغير . أما القنبلة التى ألقيت بعدها بثلاثة أيام ، فكانت تعرف باسم « فات مان » أى الرجل السمين ، وكانت أكبر حجمًا ووزنًا . وكان من الضرورى تطوير هذه القنبلة الانشطارية لجعلها أقل حجمًا ووزنًا ، وكان لا بد إذن من اختبار نظم جديدة للتفجير وللتأمين ، وتصميمات مختلفة لتركيب الأجزاء ولكن بنفس النظرية . ومازالت عمليات التطوير جارية حتى الآن ، حيث تختلف القنابل النووية الحديثة عن مثيلاتها الأولى تمامًا .

كانت الاختبارات تجرى فوق سطح الأرض فى صحراء نيو مكسيكو ، أو صحراء موجاف Mojave جنوب ولاية كاليفورنيا ، أو صحراء ولاية نيفادا . ولكن جرى حظر التجارب النووية فى الجو أو البحر أو فوق الأرض ، طبقًا للمعاهدة الدولية التى نفذت اعتبارًا من أكتوبر 1963 . وأصبحت التجارب تتم تحت الأرض ، فى آبار عميقة يتم حفرها عموديًا فى مناطق التجارب المحددة .

وهذه القصة التى حدثت بالفعل ، فى منطقة فلات يوكا Flat yuka فى صحراء ولاية نيفادا Nevada ، شمال مدينة لاس فيجاس Las Vegas ، أثناء إختبار قنبلة نووية انشطارية A - Bomb فوق سطح الأرض . للتأكد من نظام جديد للتفجير ، وتصميم مختلف للتركيب ، وضعه عالم الرياضيات الأمريكى ـ البولندى الأصل ـ جون فون نيومان



تفجير نووى فوق سطح الأرض

John Von Newman . وهو العالم الذى وضع أساس طريقة التفجير الداخلى للقنبلة الذرية الأولى ، ثم اشترك بعد ذلك فى تطويرها ، ووضع الخطوات الرياضية الأساسية لصنع القنبلة الهيدروجينية H - Bomb الاندماجية ، والتى فجرتها الولايات المتحدة لأول مرة فى أوائل نوفمبر 1952 فى نيويتوك بجزر مارشال بالمحيط الباسفيكى . وقد توفى فون نيومان فى فبراير 1957 ، عن 54 سنة بالسرطان .

* * *

كانت الساعة تقترب من الخامسة فجر يوم 23 أبريل 1956 ، وقد تجمع العلماء والخبراء فى مركز المراقبة فى موقع التجارب النووية فى منطقة سرية محظورة وسط صحراء ولاية نيفادا الأمريكية . ويقع مركز المراقبة على بعد حوالى 16 كيلومترًا من موقع الانفجار ، وهو برج من الصلب يرتفع حوالى 90 مترًا مطلى باللون الأسود فى منطقة فلات يوكا القاحلة . أما المركز فيضم مجموعة من الغرف الصغيرة المدفونة جزئيًا فى الأرض ، وقد بنى من الجدران المزدوجة السميكة والمبطنة بألواح الرصاص . وهناك مجموعة من النوافذ والكوات المصفحة بالزجاج الرصاصى ، وعشرات الأجهزة لقياس قوة الانفجار والإشعاعات المنطلقة منه . وكان فريق المراقبة تحت إشراف الدكتور ألفين جريفز Alvan Graves ، الذى اشترك فى تطوير القنبلة الذرية وتجاربها .

أغلقت أبواب الصلب الثقيلة الخارجية ، وتأهب الجميع لإجراء التفجير النووى ، حيث ارتدوا النظارات السوداء الواقية والأردية المناسبة ، وأعدوا الأجهزة والآلات والعدادات المختلفة للعمل . وهنا أعلن المذيع الداخلى أنه لم يبق إلا ثوان عشر ، ثم بدأ العد التنازلى بسرعة . وعندما انتهى من العد ، لم يحدث شىء ، وتبع ذلك سكون مهيب . وتردد المذيع قليلاً ، ثم قال بشىء من الحيرة «لم يحدث الانفجار ، أكرر أنه لم يحدث الانفجار . لا يتحرك أى شخص من مكانه ! »

راح الخبراء يحدقون فى بعضهم البعض ، ثم ينقلونها إلى العدادات الساكنة المختلفة ، لقد حدث ما كان يعتبر مستحيلاً ، ولم تنفجر إحدى القنابل النووية اثناء اختبارها فوق سطح الأرض . لم يكن هناك من شىء يتحرك فى مركز المراقبة ، سوى مجموعة الساعات الجدارية التى تسجل مرور الزمن فى أجزاء من الثوانى . وأخذ العلماء ينظرون من الكوات الزجاجية السميكة ، كان البرج الأسود فى مكانه ، وأضواؤه الحمراء تظهر بوضوح من بعد 16 كيلومترًا . ولو حدث الانفجار لانصهر البرج بأضواء الإنذار ، وتلاشى فى كرة من اللهب على هيئة نبات « عُش الغراب » ترتفع إلى أكثر من عشرة كيلومترات .

بعد فترة طويلة من الحيرة والسكون العميق ، توجه الدكتور جريفز بصوته الهادئ إلى الدكتور جون كلارك John Clark قائلا « يبدو

أن هناك مهمة تنتظرك يا جاك ، لإبطال مفعول القنبلة ! » . كان الدكتور كلارك قد قام بتجهيز هذه القنبلة للانفجار ، بصحبة الخبراء الآخرين منذ ساعات ثلاث فقط . وكان يعرف أنه لا بد أن يُعرض نفسه للخطر لنزع سلاح القنبلة ، فلا أحد غيره يستطيع أن يفعل ذلك ويؤدى عمله . ولكن عليه أن يصطحب معه أقل طاقم ممكن لمساعدته ، فى مهمة خطرة غير مأمونة على الإطلاق ، حيث يمكن للقنبلة أن تنفجر فى أى وقت .

أخذ الخبراء يتناقشون فيما بينهم عن الأسباب التى يمكن أن تمنع الانفجار . وكانت هذه هى المرة الثانية التى يحدث فيها ذلك ، وفى نفس منطقة التجارب النووية ، قبل ثمانية أشهر فقط من هذا الحادث . وفى المرة الأولى قام الدكتور كلارك بإبطال مفعول القنبلة ، عندما اكتشف وجود خطأ فى اتصال أحد الأسلاك . ولكن فى هذه المرة كان جهاز التفجير الداخلى أعقد بكثير من جميع القنابل السابقة ، فضلاً عن تجربة نظام جديد للتصميم وتصغير حجم القنبلة ، مع الاحتفاظ بنفس قوة التفجير . وأخيرًا استقر الرأى على إجراء أعمال معينة للسيطرة على القنبلة . وتقرر أن يصطحب الدكتور جون كلارك ، خبيران فى الوصلات الكهربائية ، وهما المهندس بارنى أوكلى Berni O`kelly ، والمهندس جون وينكيل John Winchkel . وكلاهما متزوج وله أسرة ، بخلاف الدكتور كلارك الأعزب ، ولذلك فإن مخاطرتها أكبر لأنها تمس استقرار الآخرين وخاصة الأطفال .

كان هذا الفريق الثلاثى يدرك تمامًا الصعوبات والمخاطر التى تواجهه ، فالقنبلة تقبع داخل صندوق معدنى مربع طول ضلعه 4.60 متر ، فوق برج معدنى يرتفع 90 مترًا . وقد أزال الدكتور كلارك المصعد الكهربائى عند الانتهاء من تجهيز القنبلة للانفجار بعد منتصف الليل ، ويصعب الآن تركيبه مرة أخرى فى مثل هذه الظروف . ولا بد للفريق أن يتسلق 300 درجة من السلم الحديدى ، على أمل ألا تتسبب حركتهم فى التأثير على الأسلاك . ثم لا بد بعد ذلك من فتح باب غرفة القنبلة ، وإبعاد الأسلاك من وصلاتها ، وأثناء ذلك يمكن أن ينطلق جهاز التفجير فى أية لحظة .

* * *

كانت الساعة قد بلغت السادسة صباحًا ، حينما انطلق الفريق الثلاثى فى عربة جيب فى طريق مستقيم يؤدى مباشرة إلى البرج . وكانت هناك علامات معينة لكل كيلومتر لتحديد مناطق الخطر ، فعلى بعد حوالى 13 كيلومترًا من البرج يمكن للوهج الساطع أن يصيب العين بالعمى المؤقت والتهابات حادة . وعلى بعد ثمانية كيلومترات يمكن للحرارة المنبعثة أن تصيب الجلد بحروق شديدة . وعلى بعد أربعة كيلومترات ، قد يفقد المرء حياته بسبب الضغط العنيف والحرارة العالية . أما أقرب من ذلك فلا أمل على الإطلاق للعودة مرة أخرى .

عندما وصل الفريق إلى محطة المحولات الكهربائية ، اتصل الدكتور

كلارك لاسلكيًا بمركز المراقبة وأعلمهم بذلك . وكان على الفريق أن يتأكد من عدم انتقال أى تيار كهربائى شارد إلى القنبلة . وهذه المحطة تقع على بعد 3300 متر من البرج ، عبارة عن غرفة صغيرة من الأسمنت المسلح تحت الأرض ، مزودة بكرات صغيرة من الزجاج المصفح ، وباب من الصلب السميك على الجانب الآخر من البرج . وقام الفريق بفصل التيار الكهربائى عن المحول الرئيسى ، دون أن يحدث شىء .

واصل الفريق تقدمه داخل المنطقة التى لا رجعة منها ، حتى وصلوا إلى قاعدة البرج ، وهنا اتصل الدكتور كلارك بمركز المراقبة يعرفهم بخطواته . وبدءوا الصعود ببطء وهدوء مع التوقف لالتقاط الأنفاس والراحة عدة مرات . لم تكن هناك كلمات متبادلة على الإطلاق ، ورغم أن السماء كانت صافية ، وأشعة الشمس تغمر المكان ، مع رياح باردة خفيفة ، إلا أن العرق الغزير شملهم جميعًا .

أزال الدكتور كلارك سلكًا غليظًا كان قد وضعه على الباب غرفة القنبلة ، ثم تقدم مع المهندس وينكيل نحو القنبلة ، بينما أخذ المهندس أوكلى يتحدث لاسلكيًا إلى مركز المراقبة . كان كل منهم يتحرك على أطراف أصابعه ، وقد جفت حلوقهم ، ويحاذرون أن يحدثوا أية حركة . وأخذ الدكتور كلارك يعمل بيديه المبتلتين فى فك الوصلات الكهربائية ، وفى الجانب الآخر من القنبلة المهندس وينكيل ، وهما يعملان فى تزامن محدد ، ويتحدثان بانحناءات من رأسيهما فى صمت . وأخيرًا أمكن فك الأسلاك من وصلاتها واحدًا

بعد الآخر ، وقد تصلبت وجوهمها من الرعب . ثم انطلق الجميع يضحكون فى سعادة ، فقد أصبحت القنبلة مجرد كتلة من المواد النووية والمتفجرة الخامدة . ولم يكن الفريق فى تلك اللحظة يبحث عن أسباب عدم الانفجار ، بل كانوا ثلاثة رجال يحمدون الله على أنه وهبهم الحياة .



بتصرف مختصر عن المصدر :

Los Angeles Times, by Gary Kelly, dated May 1956 .

Times Mirror Sqnare, Los Angeles 90053, California, U.S.A.

3ـ اندفع لإنقاذ الطفلة من موت محقق ..

[بقلم : ديانا سيراكارى]

تقدم رجل عجوز يبلغ الثالثة والستين من عمره ، إلى مكتب الشركة السينمائية الخاص بتوزيع أوامر التشغيل فى موقع التصوير ، طالبًا العمل كفارس . ولكن الموظف الجديد الذى لم يكن يعرفه ، نظر إليه فاحصًا ، وقلب فى بعض الدوسيهات ، ثم اعتذر له بلطف . فالشركة لا يمكن أن تتحمل مثل هذه المسئولية لو حدث له شيء ، كما أنه أكبر سنًا من يمثل دور البديل فوق صهوة جواد ، وإن كان يريد عملاً فيمكنه أن يطلب دورًا لا يتطلب منه إلا السير على قدميه . وكان هذا الرأى بالنسبة لفارس محنك ، ليتجاوز عن فروسيته ويصبح مجرد « كومبارس » من المترجلين ، إذلالاً مهينًا ونهاية للمطاف .

كان جاك مونتجومرى Jack Montgomery فى الحقيقة راعى بقر فى مزارع ولاية تكساس الأمريكية ، حينما قدم إلى هوليوود عام 1920 . وطوال الأعوام الثلاثين التالية عمل كفارس مؤديًا دور البديل Doubling فى الأدوار الخطرة للنجوم . وكان فارسًا بحق ، يستطيع أن يسيطر على أى جواد ، ويجبره على السير فوق الصخور الوعرة أو الرمال الناعمة . وكان دائمًا يحافظ على وزنه ورشاقته ولياقته البدنية التى تتطلبها الفروسية الأصيلة . كما أن ملامحه المحددة وتقاطيعه المميزة ، تدل فعلاً على أنه من أهل الغرب الأمريكى البرى .

لم ينزعج جاك كثيرًا مما سمعه فى ذلك الصباح من الموظف الجديد ، وعاد إلى منزله فى هدوء دون أية مناقشة . فإذا كان وقت السير على الأقدام قد حلَّ الآن ، فليفعل ذلك دون تذمر ، فهذه سنة الحياة . ولكنه كان فى حاجة إلى العزلة والتفكير فى الأمر ، فربما وجه نشاطه إلى ناحية أخرى من نواحى الحياة ، وما أكثرها . وفى الحقيقة لم يكن الموظف ليعرف جاك حق المعرفة ، من مجرد الاطلاع على بعض الأوراق للأدوار التى أداها كممثل بديل . كما أنه بالتأكيد لم يكن يعرف الدور الذى أداه جاك فى اليوم السابق مباشرة فى مكان التصوير دون أن يُصور بالفعل . ولو اطلع على الصحف المحلية فى ذلك الصباح ، لحفظ اسمه تمامًا وإنطبع فى ذاكرته .

* * *

كان جاك فى اليوم السابق مباشرة فى موقع العمل ، حيث يجرى تصوير فيلم دينفر وريو جراند Denver and Rio Grande ، وهو من أفلام رعاة البقر الجيدة . وكانت المنطقة تقع قرب مدينة دورانجو Durango جنوب غرب ولاية كولورادو Colorado . ودينفر هى عاصمة الولاية ، أما ريو جراند فنهر عميق ينبع من سلسلة الجبال الوعرة التى تشكل معظم الولاية .

* * *

فى ذلك اليوم كلفه مخرج الفيلم ومدير التصوير ، لاختيار منطقة يمكن أن تجرى فيها عملية مطاردة لعربة صغيرة من قبل فارس واحد . على أن تبدو معالم الأرض والطريق خطرة قدر الإمكان على الشاشة . وكانت المنطقة التى اختارها جاك وعرة بالفعل ، وتنحدر تدريجيًا عن الطريق العام ، وتحفل بجحور الحيونات البرية ، ومسارات الأنهار الجافة والأكمات الشوكية والنباتات البرية . ولكن هذه المنطقة الصحراوية الوعرة تنتهى بجرف عميق بطريقة مفاجئة ، على حافته الأخرى على بعد حوالى كيلومتر واحد .

عاد جاك مع الفريق السينمائى بعد تحديد الطريق ، ومكان الكاميرات ، إلى بداية الموقع قرب الطريق . وكانت أخبار التصوير قد انتشرت ، فتوافد إلى الموقع عشرات السيارات فى صف طويل على حافة الطريق العام . وكان هذا مما يثير أعصاب جاك دائمًا ، إذ ينطلق الأطفال الأبرياء بين الخيول المتحفزة ، بينما ذويهم يلتقطون الصور فى سعادة . وهو يعرف بالتجربة أن بعض الخيول كالداينامايت Dynamite ، لا تحتاج إلا لشراره صغيرة كى تنفجر .

فى ذلك الوقت ، كان أحد الرعاة Wrangler المحليين ، قد أحضر العربة الصغيرة التى سوف تستخدم فى المطاردة ، وقد شدت إلى جوادين قويين . بينما كان الفارس الذى سوف يتولى المطاردة ممتطيًا جواده البنى فى اعتزاز . وقد اعتقد جاك أنه شاب غِر متحذلق ، من الطريقة التى كان يمتطى بها جواده ، كما لو كان جوالاً من البطاطس .

أخذ جاك يتحدث مع رجال التصوير ، لالتقاط أفضل المشاهد ، فهو لن يشترك فى هذه المطاردة . ولمح عن بعد فى دهشة الراعى المحلى ، وهو يترك العربة ويتجه نحو الفارس على جواده ليتبادل الحديث . وكان قد قرر بخبرته الطويلة أن الجوادين المشدودين إلى العربة من الجياد المرهفة ، التى لم تتدرب بما فيه الكفاية ، ولم تتعود على مثل هذا الصخب ، ومن الممكن أن تجفل من أقل حركة . ولكن الأمر لا يعنيه ، فهذا شأن الراعى المحلى ، ولقد تعود ألا يتدخل فيما لا شأن له فيه ، إلا إذا طلب منه ذلك .

* * *

بعد فترة قليلة شاهد فتاة صغيرة فى ثوب وردى اللون ، وهى تلعب وحدها فى الجانب الآخر من العربة ، فقال لنفسه أن هذه الفتاة البريئة تعرض نفسها للركل ، وانطلق بخطى سريعة نحوها لإبعادها عن الخيول . ولكن قبل أن يستطع قطع نصف المسافة ، شاهد حركة مفاجئة لا يعرف مصدرها ، ثم سمع الصرخات المألوفة للجياد المذعورة . كان الجوادان قد شبا على قوائمهما الخلفية ، وقطعا حبال الربط ، وإنطلقا بالعربة نحوه مباشرة .

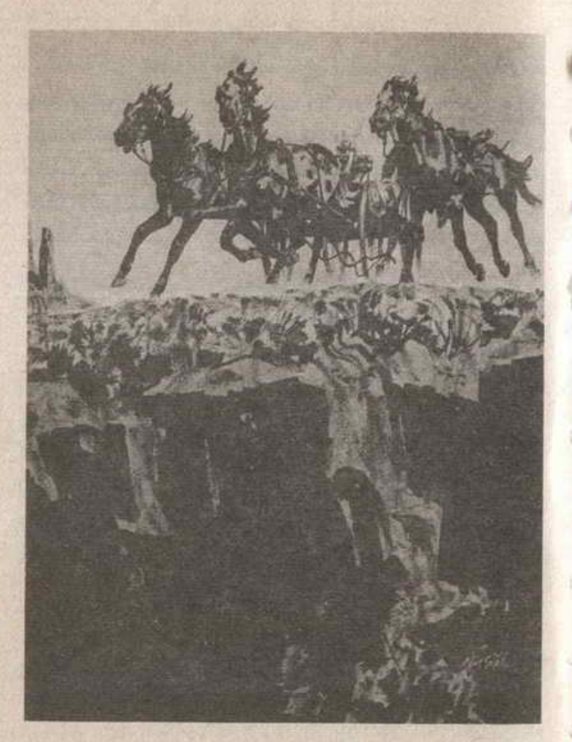
لوح جاك بقبعته عاليًا عند مستوى رأسى الجوادين ، فمرت العربة أمامه نحو الأرض المكشوفة ، وتمنى لحظتها أن يتوقف الجوادان قبل الهاوية . ثم أخذ يتابع العربة وسط الغبار المتصاعد ، حينما لمحت عيناه ذلك الثوب الوردى للفتاة الصغيرة . كانت تقف فوق المقعد الجلدى وقد أمسكت بظهره وهى تصرخ فى ذعر .

أُخذ الجميع على غرة ، وكان الجواد الوحيد الذى يحمل سرجًا على مقربة منه ، لذلك الفارس المتأنق الذى جلس دون حراك . وعلى الفور إختطف جاك العنان بيسراه ، ودفع الفارس المذهول بيمناه فطرحه على الأرض ، ثم ضرب الحصان بكفه ، وإندفع بسرعة وراء العربة ، التى كانت تسبقه بحوالى 180 مترًا .

كان بعض الفرسان المجربين الذين تصادف وجودهم ، يرقبون المشهد ويعرفون حقيقة المأساة . فهذا فارس محنك لم تتح له الفرصة من قبل كى يعرف مقدرة الجواد الذى يمتطيه ، فكل حركة من الفارس والجواد لها معنى محدد . كان جاك يجلس مستقيمًا فوق الجواد المنطلق ، وقد غرس مهمازين Spurs عميقًا فى جانبيه ، حيث كان الجواد ينطلق بأقصى سرعته فوق أرض صخرية وعرة للغاية . بينما كانت العربة تتجه بسرعة نحو الهاوية على عمق 150 مترًا ، فى دائرة متسعة .

وقدر جاك أنه لن يستطيع اللحاق بالعربة من الخلف بأى حال . وأن فرصته المتاحة أن يسلك طريقًا مختصرًا يوصله للحافة ، قبل أن تصل إليه الخيول الجامحة . ولوى حصانه فى لفتة سريعة ناحية اليسار إلى الطريق المختصر الذى لا يقل وعوره ، بل ويقطعه مجرى نهر جاف عميق عرضه خمسة أمتار ونصف المتر . وأمسك الرجال بأنفاسهم من هذه المغامرة ، فلابد أن يكون هذا الحصان المجهول الذى يمتطيه جاك ماهرًا فى القفز .

بدأ جاك منذ تلك اللحظة الحرجة يتلمس مهارة جواده البنى



لحق جاك بالعربة وأمسك اللجام وأوقف الجوادين الجامحين ، وأنقذ الطفلة

المجهول ، ويمارس معه كل الحيل التى يعرفها لاعتصار كل قدراته وقوته . فوجهه نحو دغل من النباتات الشائكة ، فقفز فوقها دون أن يمسها . وعندما جاء دور مجرى النهر الجاف ، أخذت عينا جاك تقيسان اتساعه بدقة ، ثم غرس مهمازيه وأطلق صيحة عالية . وتعلق الجواد وفارسه لحظة فوق المجرى ، ثم لمست قوائمه الضفة الأخرى قرب الحافة .

كان الطريق بعد ذلك خاليًا من المتاعب ، ولكن كان على جاك أن ينتزع من الجواد نصرًا آخر للوصول إلى الهاوية . فإرتفع فوق سرجه ، وأمال جسده إلى الأمام كالسهم ، وقد أمسك بخصلة من معرفة الجواد ، وأخذ يتحدث إليه . ومع أن هذه الحيلة معروفة جدًا ، فقد نجحت . اندفع جاك بأقصى سرعة نحو حافة الهاوية ، قرب المكان الذى يحتمل أن تصل إليه الخيول الجامحة . وأطلق صيحة عالية ، فى نفس الوقت الذى كان يلوح فيه بجنون . ولأول مرة منذ انطلاق الجوادين بالعربة ، بدأت تسمع وترى ما حولها ، وأخذت تخفف خطواتها ، ثم تحولت ناحية اليمين .

انطلق جاك بجواده محاذيًا العربة ، ثم تدلى من سرجه وأمسك بلجام الجوادين وجذبه بشدة ، فتوقفت الخيول الثائرة وسط عاصفة من الغبار . التقط جاك الفتاة الصغيرة ووضعها أمامه فوق السرج . ثم عاد على مهل ، وهو يقود الجياد المتعبة . وعندما وصل قرب الطريق العام ، اختطف الوالدان المذعوران طفلتهما الصغيرة وانطلقا بسيارتهما ، وقد نالا من مشاهد المطاردة ، ما يكفيهما طوال العمر .

★ ★ ★

عندما نشر الخبر فى ذلك الصباح ، تقاطر الصحفيون لمقابلة جاك ، ولكنه كان قد غادر المكان ، فأخذوا يبحثون عنه . وفى الأيام التالية دُعى إلى دينفر عاصمة الولاية لحضور حفل كبير لتكريمه ، لما بذله من مخاطرة بحياته لانقاذ فتاة صغيرة من موت محقق وفى ظروف صعبة للغاية . حيث مُنح ميدالية ذهبية ومكافأة مالية .

وفى نفس الوقت قدّم إليه الموظف الجديد — الذى رفضه — اعتذاره الشخصى ، فقبله جاك بسماحة نفس . وزاره مندوب للشركة السينمائية ، شاكرًا له ما قدمه للفيلم وللشركة من « دعاية » كبرى دون أن يقصر . وقدم له مكافأة مالية ، مع عقد بعمل دائم فى الشركة ، وإن كان هذا العمل يقتضى « السير على الأقدام » . وطوال السنوات التالية وحتى وفاته ، كان مستشارًا للمخرجين فى الكثير من التفصيلات التى لا حصر لها ، فيما يتعلق بالجياد والفرسان ، بما أهلته خبرته وإخلاصه . وسار فى كبرياء على قدميه ، كما كان يفعل عندما كان فارسًا .

بتصرف مختصر عن المصدر :

Reader's Digest Magazine,

by Diana Serra Cary , dated Nov . 1966 .

Pleasant ville , N . Y . 10570 , U . S . A .

4- كفاح أم من أجل براءة ابنها ..

[بقلم : كارل دينيسر]

ظهر إعلان صغير فى صَحيفة شيكاجو ديلى تايمز فى العاشر من أكتوبر 1944 ، مما أثار اهتمام رئيس قسم الشئون المحلية كارل والش . كان الإعلان يقدم مكافأة مالية قدرها خمسة آلاف دولار — وهو مبلغ كبير فى ذلك الوقت — لمن يرشد عن قتلة ضابط البوليس ويليام لندى يوم 9 أكتوبر 1932 .

كلف والش الصحفى ماك جواير للتحرى عن الإعلان ، فربما كان وراءه قصة تصلح للنشر . وفى اليوم التالى عاد ماك جواير ببعض المعلومات ، فقد نشرت هذا الإعلان سيدة أدين ابنها فى مقتل هذا الضابط ، وحُكم عليه بالسجن 99 عامًا . فطلب منه والش أن يتابع تحرياته الصحفية ، ليعرف مصدر هذه الأموال . وقد صدق حَدْسُه فيما ذهب إليه ، فما هى إلا أسابيع حتى كانت شيكاجو Chicago كلها تتحدث عن القضية المثيرة ، الذى راح ضحيتها بريئًا وراء القضبان مدى الحياة .

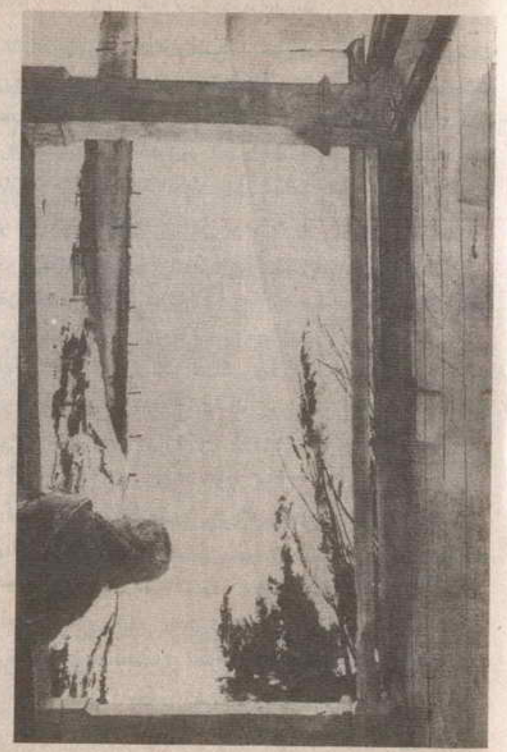
توجه الصحفى ماك جواير إلى محل إقامة السيدة تيللى ماجيك فى ضاحية بعيدة خارج المدينة . وكان المنزل فى منطقة ريفية ومصنوع من الأخشاب القديمة ، وتنتشر حوله مزارع تربية الماشية والحقول الشاسعة التى بدأت الثلوج تغطيها . قدم ماك جواير نفسه على أنه مندوب الصحيفة ، ولقد جاء من أجل الإعلان ، فأجلسته السيدة فى شرفة المنزل الريفى ، وقد بدا عليها الإرهاق من العمل الشاق .

أخذت السيدة تتكلم ببطء وهى تتخير كلماتها ، وأكدت أن ابنها جو فتى طيب ولم يقتل أحدًا . وشرحت ظروف القضية باختصار ، وأشارت إلى أنه ليس هناك دليل على براءته ، سوى الأدلة التى رفض المحلفون أن يأخذوا بها أثناء المحاكمة . وكان عليها أن تثبت براءته بالكشف عن قتلة الضابط لندى ، وعلى ذلك لا يكون ابنها جو هو القاتل .

وعندما سألها الصحفى عن مصدر النقود ، قالت له إن زوجها يعمل فى مزارع تربية الماشية ، ودخله يكاد يكفى احتياجاتهما . ولم يكن هناك سبيل من إظهار الحق إلا « بشراء » العدالة . وكان عليها العمل فى تنظيف مكاتبٍ إحدى الشركات الكبرى فى المدينة ليلاً ، فهذا هو العمل الوحيد المتاح أمامها . وقد فعلت ذلك طوال السنوات الماضية ، ستة أيام فى الأسبوع ، فى عمل مرهق وشاق على سيدة متقدمة فى السن ، حتى انتابتها آلام العظام وانحنى ظهرها مع الأيام . وكانت تدخر كل أسبوع دخلها كله فى أحد البنوك ، ولكن المال أصبح فى يدها الآن ، فهل تتحرك العدالة ؟!

وردًا على سؤال الصحفى ، نفت السيدة أن يكون أحدًا قد استجاب لإعلانها . وقد جربت من قبل إعلانًا بمكافأة قدرها 3500 دولار ، فلم يرد عليها أحد . فاقتنعت بأن العدالة تستحق أكثر من ذلك ، باعتباره ترفًا غاليًا . فواصلت العمل طوال 12 سنة ، حتى تظهر الحقيقة . والحقيقة بسيطة عندما تكون فى متناول اليد ، ولكن أنى لها « بشراء » الحقيقة وتحقيق العدالة واحقاق الحق ، وهى سيدة رقيقة الحال !

* * *



كافحت السيدة نيللى طوال 12 سنة لإثبات براءة ابنها

عاد الصحفى إلى مكتبه وأطلع رئيسه والش على كل المعلومات التى أمكنه جمعها . ولكن والش أشار إلى أن القصة ما زالت تنقصها تفاصيل كثيرة ، رغم أنها موضوع جيِّد للنشر ، ولا بد من إجراء المزيد من التحريات الصحفية . لذلك كلف صحفيًا آخر للعمل مع ماك جواير ، للبحث عن البيانات المطلوبة ، والإطلاع على الوثائق ، ومقابلة الشهود إن وجدوا .

كان الجو العام مشبعًا برائحة غريبة ، تبعث على الإحباط والتخاذل . فبعض المسئولين فى المدينة تحولوا إلى إسفنجة تمتص كل ما هو غث وتافه وعقيم ، ويهمهم تحقيق مصالحهم ، بصرف النظر عن العدالة وإحقاق الحق وتدمير حياة برىء . ولماذا البحث فى الأوراق القديمة وقد نسيها الجميع ؟ وكان على الصحفيِّين التغلب أيضًا على مناورات السياسيين وكبار الموظفين وتهديداتهم المبطنة ، فلا أحد يريد إحياء ما انطوى من هذه القصة منذ زمن بعيد .

بدأت القصة المفجعة عصر يوم التاسع من ديسمبر 1932 ، حينما دخل الضابط لندى إحدى الحانات غير المرخصة ، تديرها الشقراء فيرا فى الحى الأجنبى من المدينة . قدمت له فيرا مشروبًا ، ثم أخذ الضابط لندى يناقش رجلاً آخر فى الحانة حول حماقة فيرا . فهى تحتفظ عندها بصندوق يضم آلاف الدولارات ، وكل من فى الحى يعرف ذلك ، وسيجىء يوم تجد فيه نفسها ...

لم يُكمل الضابط لندى كلماته أبدًا ، ففى هذه اللحظة دخل شابان

يحملان المسدسات ، وإرتاعا إذا وجدا شرطيًا فى الحانة ، والرجل الذى يتحاور معه فقط . لم يكن من الممكن للضابط سحب مسدسه بسرعة لإرتدائه المعطف ، فلما حاول ذلك أطلق عليه الرجلان الرصاص وفرا بسرعة .

كان ذلك فى السنة السابقة لافتتاح معرض شيكاجو الدولى . ولهذا أمر محافظ المدينة أنتون سرماك بتطهيرها والمحافظة على سمعتها . وانطلق رجال الأمن والمخبرين يبحثون فى الحى عن الأشقياء المسجلين ، ويستجوبون الشهود .

فى ذلك اليوم كان جو فى بيته على بعد كيلومترين من حانة فيرا ، وقد فضل المكوث فى منزله وعدم الذهاب لعمله كميكانيكى ، حيث أن زوجته هيلين فى أيام حملها الأخيرة ، ويجب أن يصحبها بسرعة إلى المستشفى . ولكن جو وزوجته ارتكبا غلطة واحدة ، حيث لم يكونا يعلمان بحادث القتل أو بحث البوليس . فقد جاء إليهما أحد المعارف القدماء ، وقال لهما أنه فى ورطة وسمحا له بقضاء الليلة عندهما . بل وأخبرا الجيران بحسن نية بذلك ، فأبلغوا البوليس .

لم تنطبق على جو أوصاف القاتلين ، بشهادة الشهود ، بل وشهدت فيرا أيضًا أنه ليس أحدهما . ولكنها غيرت أقوالها بعد ذلك ـ تحت الضغوط والتهديدات ـ وكانت الشاهدة الوحيدة بذلك فى المحكمة .

لم يقتنع القاضى الذى نظر القضية ، واستدعى كل الشهود على حدة . وبعد صدور الحكم قال القاضى لأسرته ، إنه مقتنع بأن ظلمًا كبيرًا قد وقع ، طبقًا لقرار المحلفين الذى يلزم القاضى ـ طبقًا للقانون والنظام القضائى الأمريكى ـ وقد أزعجه ذلك . وكان يعتزم إصلاح الخطأ بالطرق القانونية المعقدة لإعادة النظر فى القضية أمام محكمة أعلى درجة ، ولكنه مات قبل أن تتح الفرصة لذلك .

كانت زوجة جو تحمل طفلها وتزوره فى السجن خارج المدينة ، وكانت أمه تزوره كذلك ، وهى تحاول أن تُحى الأمل فى نفسه ، وأنها تدخر المال لهذا اليوم . كما كان جو مرحًا واثقًا من عدالة السماء ، وأنه سوف يخرج يومًا مرفوع الرأس ، ولذلك أخذ يتعلم فى السجن على الحسابات وإدارة المشاريع الكبرى .

بعد أعوام خمسة من سجنه ، أقبلت زوجته هيلين لزيارته ، وقالت له أنها متأكدة من براءته ، ولكنها أيضًا متأكدة أنه لن يخرج من هذا المكان . وابنها يحتاج إلى أب يرعاه ، ولهذا سوف تستصدر حكمًا بالطلاق . ولم تُعلق أمه بشىء عندما عرفت ، وإن لم تكن بداخلها لترضى عن هذا ، فحسب جو ما يعانيه ، ولم يكن ينقصه أن تزيد زوجته حياته مشقة . ولكن جو صبر على محنته ، ووافق زوجته على طلبها فى تفهم .

★ ★ ★

استمر الصحفيون فى الاطلاع على محاضر المحكمة ، وراجعوا حياة كل الشهود ، واتصلوا بأعضاء هيئة المحلفين الذين أدانوا جو . فقرر بعضهم كتابة أنهم ما كانوا ليدينوه لو أن البيانات الجديدة قد ظهرت أثناء المحاكمة . وكان الصحفيون قد عثروا على بعض الوثائق المحفوظة ، حاول رجال البوليس ومكتب المدعى العام فى الولاية إخفاءها أثناء المحاكمة . كما أن جيران جو ساءهم تلهف المدعى العام على إدانة جو وتجاهل شهادتهم تمامًا ، وأن جو كان موجودًا أمامهم أثناء ارتكاب الحادث . فكثير من الناس فقدوا القدرة على التفرقة بين الخطأ والصواب ، وبين الظلم والعدل .

استعانت الصحيفة بالدكتور ليونارد كيلر ، مخترع جهاز الكشف عن الكذب . الذى حمل جهازه إلى السجن لاختبار جو . ثم عاد يقول « إن الرجل يقول الحق ! » وعلى الفور عهدت الصحيفة إلى أحد المحاميين الكبار ، فدرس كل الحقائق التى جمعها الصحفيون بعد عناء . ولكن المشكلة أن المتهم سقط حقه فى نقض الحكم بمرور الزمن ، طبقًا للقانون . وهكذا نرى أن بعضهم أقاموا الأسوار العالية حول الشرفاء والأبرياء ، بغابة من القوانين الفجة ، بلا خجل وبلا حرج وبلا إعتبار وبلا ضمير .

فكل المحاكمات فى الواقع تعريه لحياة الإنسان ، وإدانة لمجتمعه ، وإنه لأمر فظيع أن يشعر المرء بخطأ غيره . ومع ذلك قدم المحامى التماسًا بالعفو إلى حاكم الولاية ، وجرى تحقيق شامل مرة أخرى ، وقَّع على إثرها الحاكم وثيقة العفو .

خرج جو من بوابة سجن جوليت خارج المدينة فى صباح يوم 15 أغسطس 1945 حيث اصطحبه الصحفيون بسيارتهم هو ووالدته إلى المدينة . وأقاموا حفلاً لتكريم الأم التى ضحت بكل شىء فى قاعة المدينة ، حضرها كبار أعيانها . ورفضت إدارة الصحيفة ما قدمته الأم من مدخراتها طبقًا للإعلان . كما رفض ابنها جو تناول المبلغ لبدأ حياة جديدة ، فقد عرض عليه أحد كبار رجال الصناعة فى نفس اليوم عملاً كسكرتيره الخاص بمرتب كبير . ولم تذرف الأم دمعًا ، ألم يصبح ابنها حرًا ؟ بعد تلك الأعوام الطويلة من العمل الشاق .



بتصرف مختصر عن المصدر :

Chicago Daily Times, by Carl Deniser , dated Aug . 1945

Chicago , USA .

5- يختفى فجأة .. بعد تقديم مساعدته ..

[بقلم : ميللر آلفين]

فى المرة الأولى التى أقدم فيها توم كارنى على التدخل فى حادث تصادم على الطريق السريع فى ولاية فرجينيا الأمريكية ، قرر فجأة أن يُطلق على نفسه اسم « بلو ماكس » Blue Max ، نسبة إلى شاحنته الضخمة الزرقاء . كان ذلك فى ربيع عام 1972 ، حينما شاهد رجلاً ينزف بشدة وهو يصرخ « اخرجوا زوجتى من السيارة » . وهرع كارنى إلى السيدة داخل السيارة المسحوقة ، فأخرجها بسرعة ، وحاول انعاشها . فلما استعادت السيدة وعيها وانتظم تنفسها ، صعد كارنى إلى شاحنته وانطلق بها فى طريقه ، بعد أن قال لهم أن اسمه « بلو ماكس » .

ثم تمكن بعد ذلك من إنقاذ أحد عشر سائقًا انهمر عليهم الثلوج من المرتفعات ، ونقلهم فى شاحنته إلى مكان آمن . وفى عاصفة جليدية أخرى قرب مدينة بفلو بولاية نيويورك أنقذ مجموعة من أصحاب السيارات من التجمد ، وجعل الجزء الأمامى من كابينة شاحنته للأطفال وهى الأكثر دفئًا . بينما تجمع الآخرون فى الجزء الخلفى . ثم زودهم بالطعام والأغطية بل والنقود ، فلما سألوه عن اسمه وعنوانه ، قال أنه « بلو ماكس » فقط ، وطلب منهم أن يفعلوا شيئًا مماثلاً فى المواقف التى قد تصادفهم .

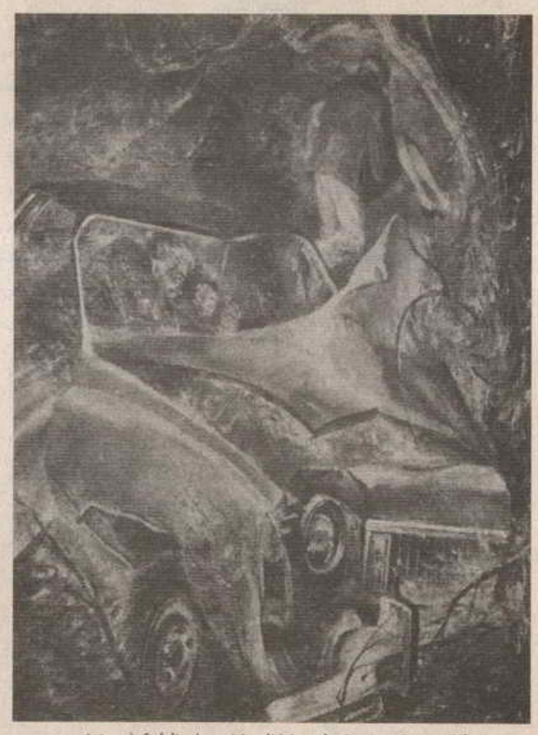
ولا يصرح توم بعدد الأشخاص الذى أمكنه انقاذهم أو مساعدتهم ، ولكن هناك لحن شعبى انتشر فى ذلك الوقت ، ويردده سائقو الشاحنات ، أن بلو ماكس أنقذ 14 شخصًا . وقد لقبه زملاؤه وأصدقاؤه ببطل سائقى الشاحنات ، ولكن ذلك يزعجه تمامًا ، فهو يفضل ألا يكشف عن شخصيته ، وأنه مجرد شخص عادى يقوم ما يمكنه أن يفعله . وعلى أى حال فلم يكن أحد يعرف أن توم هو بلو ماكس إلا فى شيخوخته ، وقد تقاعد من قيادة الشاحنات الضخمة ، حيث تحتاج إلى صحة جيدة وقوة شديدة . وهى غير الشاحنات التى نألفها فى الطرق ، فهى فى الحقيقة جرارات ثقيلة ذات ثمانى عشرة عجلة أو إطار مزدوج ، تسحب وراءها قطارًا من التريلات الطويلة كما يحدث فى أوستراليا ، ولكن القانون يحدد مقطورتين فقط فى الولايات المتحدة .

يقدر توم أنه قاد شاحنته خلال 28 سنة ، قطع خلالها حوالى خمسة ملايين كيلو متر ، وهى مسافة شاقة حقًّا . وقد احترق بعض من بشرته وشعر رأسه الأبيض من الحرائق والركام أثناء تقديم مساعدته . وقد عانى ارتجاجًا بالمخ أربع مرات على الأقل ، مما سبب صداعًا مزعجًا يفقده الوعى أحيانًا . وهو يعترف اليوم ـ عندما اقترب من الستين ـ بما لم يكن يعترف به فى شبابه ، وهو أن قيادة الشاحنات الضخمة عمل لا يناسبه البتة ، ولكنه استمر فيه . ويعيش توم الآن مع أسرته فى بلده سيكونك بولاية مساتشوستس ، ويقضى حياته متمتعًا بمزرعته الصغيرة .

ويروق له أحيانًا أن يزور استراحات سائقى الشاحنات على الطرق السريعة ، ويتمتع بما يستمع إليه من قصص طويلة عن أسطورة بلو ماكس ، التى يضيفون إليها أعمالاً لم تقع بالفعل ، ويضطر هو أن يصحح الأمر وكأنه يدلى برأيه الشخصى . ومعظم من أنقذهم يتوجهون بالشكر إليه عبر الإذاعة أو التليفزيون من خلال البرامج المتعددة . مؤكدين أنه ـ أى بلو ماكس ـ لم يترك لهم فرصة لشكره أو معرفة عنوانه واسمه الحقيقى . وأنه يختفى سريعًا بعد إنجاز عمله .

كانت حياة توم شاقة بالفعل ، فقد مات أبوه وهو فى الثانية عشرة من عمره ، وتبعته أمه فى نفس السنة ، ووجد نفسه وحيدًا . فانطلق على الطريق حتى وصل إلى ولاية مين Maine الشمالية الشرقية . وهناك صادف تاجر خيول ، فمنحه فرصة للعمل لديه . وكان الاثنان ينقلان الجياد فى سيارة قديمة ، ويقدمان عونهما فى كل حادث على الطريق . ثم التحق توم بالأسطول التجارى ، وبعد فترة تعرف على زوجته إنجلينا وتزوجها عام 1951 ، ومع الوقت تحول ذلك الصبى اليتيم إلى صاحب عمل يمتلك شاحنة ضخمة بجرارتها .

كان توم يقود شاحنته فى ربيع عام 1964 قرب الحدود الكندية مع ولاية فيرمونت الأمريكية ، حينما سمع صوت تسرب الهواء المضغوط من تانك الفرامل . ولم يستطع أن يوقف شاحنته فى الوقت المناسب لوجود سيارات متوقفة على الحدود أمامه . فانعطف يمينًا إلى أحد الحقول ثم يسارًا ، فانقلبت الشاحنة وسقط تحتها .



كان توم يقدم خدماته لضحايا السيارات على الطرق ثم يختفى

كانت إصابته شديدة ، وتوقع الأطباء أنه إذا خرج حيًا من الحادث ، فسيقضى ما تبقى من عمره فوق مقعد متحرك . أخذ توم يصلى بحرارة ، وعاهد اللّه أنه إذا تمكن من الخروج من المستشفى سليمًا ، فسوف يبذل قصارى جهده لمساعدة الآخرين ، وسيقدم كل ما يستطيعه للمصابين . وبعد أسابيع غادر توم المستشفى وهو يسير على قدميه .

وكان أول حادث يصادفه بعد ذلك ، أن شاهد دخانًا متصاعدًا من نوافذ إحدى السيارات الواقفة على الطريق . ولما لم يجبه أحد من داخلها حطم الزجاج ، حيث وجد مراهقين على حافة الموت من أبخرة العادم المتصاعدة ، ويبدو أنهما قد قررا الانتحار . ولكن الهواء البارد أنعشهما حيث نقلا إلى المستشفى فى الحال ، لاستخراج أول أكسيد الكربون السام الذى دخل فى دورتهما الدموية .

وفى إحدى المرات شاهد خطًا أبيضًا فى فيضان مفاجئ فى إحدى الولايات ، وما كان ذلك إلا أثر لسيارة غارقة يكاد يغمرها الماء . فلما أسرع توم إليها وجد زوجين شابين بداخلها يحتضنان طفلاً صغيرًا ، وقد أحكما غلق النوافذ . فأنقذهما من محنتهما ، وسحب سيارتهما إلى الطريق الجاف بشاحنته ، ثم إنطلق فى طريقه . وبعد فترة سمع زملاءه يتحدثون عن بلو ماكس الذى أنقذ طفلاً وأبويه .

قام سائقو الشاحنات بولاية كونكتيكت بتعليق لوحة محفورة من

الألومينيوم المصقول تكريمًا للبطل المجهول . وكتبوا عليها « إلى بلو ماكس إجلالاً لأعماله الإنسانية على الطريق » . وكان كل من يتوجه إلى هذه الاستراحة يشاهدها بوضوح . وتوقّف توم هناك مرات ، وكان يستمع إلى زملائه وهم يقصون عليه الأساطير . وادعى أحدهم أنه ركب مرة مع بلو ماكس ، بل قال آخر أن اللوحة من حقه هو .

لذلك قطع توم ورقة مالية من فئة الدولار ، فأرسل نصفها إلى مدير المحطة عبر البريد ، وأن بلو ماكس الحقيقى هو الذى يمتلك النصف الآخر من هذه الورقة . ولكن السنوات مرت دون أن يظهر الصاحب الحقيقى بعد ، بل ظهرت أخبار جديدة عن تزايد السائقين الذين يتوقفون لمساعدة ضحايا الحوادث ، ويدعون أنهم بلو ماكس . فأدرك توم أن دعوته قد انتشرت ، وأن هناك الآن المزيد ممن يتحلون بالشهامة والشجاعة والمروءة لتقديم خدماتهم دون أن يذكروا أسماءهم .

فى صيف عام 1977 ، توقف توم فى استراحة الولاية التى علقت لافتة الشرف ، وسمع أحدهم يقول أن اللوحة ستكون من نصيبه . عندئذ أعطى توم النصف الآخر من الورقة المالية إلى ابنه كى يسلمها بنفسه إلى مدير الاستراحة ومحطة الشاحنات . وفى اليوم التالى تسلم توم لوحة الشرف وسط احتفال كبير من زملائه وأصدقائه . وكانت زوجته إنجلينا آخر من عرفت الشخصية الثانية لزوجها .

وفى يناير 1979 أقامت الهيئات والمؤسسات الخاصة بالنقل والطرق حفل كبير فى رود أيلاند لتكريم توم كارنى ، ومنحه الأوسمة والمكافئات التى إنهالت عليه ، وكان هذا بحق يومًا مشهودًا لن ينساه توم أبدًا .

كانت شخصية بلو ماكس غير معروفة خارج عالم الشاحنات ، ولكن هناك الآن شخصيات كثيرة جدًا بنفس الاسم ، ويقدمون نفس العمل ، وينكرون أنفسهم تمامًا . وازدات اللوحات المعدنية على الطرق السريعة داخل الولايات المتحدة وفى معظم ولاياتها تشكر بلو ماكس !



بتصرف مختصر عن المصدر :

Yankee Magazine, by Miller Alvin , Dated Sep . 1982 .

Dublin , New Hampshire 03444 , USA .

6- مهمة للاستطلاع لا عودة منها ..

[بقلم : ويليام وايت]

كان إيرل إليس ضابطًا مفعمًا بالنشاط والحيوية والشباب فى مشاة البحرية الأمريكية « المارينز » ، حينما إختفى تمامًا وعمره لم يتجاوز الثامنة والثلاثين . ومنذ اختفائه من حوالى 69 سنة حتى الآن ، فلا أحد يعرف ما الذى جرى له بالضبط . وعلى مدار هذه السنوات ظهرت مقتطفات صحفية متناثرة ومتباعدة عن قصة اختفائه ، التى لم تكتمل فصولها بعد . ومع قلة المعلومات والأخبار التى نشرت ، فهى تدل على أن إيرل قد ضحى بنفسه تمامًا من أجل وطنه ، فى مهمة خطرة يعرف تمامًا أنه من المستحيل أن ينجو منها . وأنه سوف يموت على أيدى أعدائه بعد تعذيب رهيب ، مما يجعله بطل الأبطال فى هذا المقام .

ينحدر إيرل من قرية صغيرة فى مقاطعة برات Pratt بولاية كانساس Kansas ، حيث سهول البرارى Prairie وحقول القمح الشاسعة . وكان شابًا جادًا متحمسًا حينما انضم إلى قوات مشاة البحرية Marine Corps . واشترك فور تخرجه فى معارك الحرب العالمية الأولى فى المسرح الأوروبى ، حيث أهلته سيرته وشجاعته إلى الترقى بسرعة حتى وصل إلى رتبة ليفتنانت كولونيل - مقدم . كان موضع التقدير والإحترام من كبار القادة لمقدرته على التفكير السليم والتصرف أثناء الأزمات ، ولولائه المطلق لسلاحه ولوطنه .

ولقد نادى بعض الكُتاب الأمريكيين ، وأعضاء من مجلس

النواب - أحد مجلسى الكونجرس الأمريكى - بمنح اسم الضابط إيرل إليس Earl Ellis ، أعلى وسام للشجاعة ، وتدوين اسمه فى قائمة الشرف . ولكن اللوائح لا تجيز ذلك إلا بعد مرور خمس سنوات على وقوع الحادث الذى يؤهل للبطولة . ولكن ذلك الشرط قد أمكن استثناؤه فى حالات أخرى على مدار السنوات السابقة . والمشكلة أن وزارة الدفاع الأمريكية « البنتاجون » وقيادة القوات البحرية ، بل وقيادة مشاة البحرية - والتى ينتمى الضابط إيرل إليها - يُنكرون تمامًا صلتهم به ، وأنه كان خارج الخدمة العسكرية عند اختفائه .

والوقائع والأحداث قليلة جدًا ، ولكنها تدل على ما يمكن أن يجرى فى الخفاء عند وقوع الأزمات على المستوى الدولى . وأن الأشخاص الذين يضحون بأنفسهم بهذا الشكل يعرفون أنهم سوف يموتون لا محالة بأيدى أعدائهم ، بل ويعرفون أيضًا أن الجميع سوف يتبرءون منهم عند الإعلان عن ذلك عند وقوعهم . حتى لا يتسبب ذلك فى جرح كبرياء أوطانهم ، وتجريح التصرفات الدولية التى قد لا تكون فوق مستوى الشبهات ، مهما طال الوقت . وقبل الخوض فيما يمكن أن يكون قد حدث للضابط إيرل ، فلابد لنا أن نعرف بعض الوقائع ، حتى يمكن أن نعرف ماذا وقع .

* * *

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى فى أغسطس 1914 ، أخذ الدبلوماسيون البريطانيون يتحركون بسرعة لحث اليابان على إعلان الحرب على ألمانيا فى جانب القوات المتحالفة . وبالفعل جرى توقيع اتفاقية سرية بوضع المستعمرات الألمانية فى المحيط

الباسفيكى تحت الوصاية اليابانية بعد إنتهاء الحرب ، ووقعتها بريطانيا وفرنسا وروسيا . وعلى ذلك أعلنت اليابان الحرب على ألمانيا فى 23 أغسطس 1914 ، وقام الأسطول اليابانى بانتزاع القواعد البحرية والمستعمرات الألمانية فى المحيط الباسفيكى ، ولكن نشاطها العسكرى توقف عند ذلك .

كانت ألمانيا قد اشترت هذه المستعمرات من أسبانيا عام 1899 ، خلال الحرب الأمريكية الأسبانية لحاجتهم إلى المال والسلاح . وكانت أسبانيا قد استولت على هذه المستعمرات فى معارك بحرية من البرتجاليين عام 1686 ، والذين اكتشفوها عام 1527 . وتضم هذه المستعمرات مجموعة جزر كارولاين Caroline islands ، التى تضم حوالى 500 جزيرة . وكذلك مجموعة جزر مارشال Marshall شرقها والتى تضم حوالى 50 جزيرة . وأيضًا مجموعة جزر ماريانا Mariana شمالها مقابل الفلبيين ، فيما عدا جزيرة جوام Guam التى استولت عليها البحرية الأمريكية وأقامت بها قاعدة بحرية حربية .

بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى فى 21 نوفمبر 1918 ، باستسلام الأسطول الألمانى ، وتوقيع معاهدة فرساى 1919 ، تكونت « عصبة الأمم » League of Nations فى جنيف بسويسرا . والتى وضعت جميع الجزر السابقة تحت وصاية Mandate اليابان رسميًا ، ضمن ماوزعته من جزر ودول تحت وصاية الدول المنتصرة فى الحرب حول العالم ، عام 1920 .

أخذت اليابان تعزز وجودها فى هذه الجزر المنتشرة على مساحات شاسعة فى غرب المحيط الباسفيكى . وسمحت لليابانيين بالهجرة إلى هناك ، بل وتملك الأراضى رسميًا اعتبارًا من سبتمبر 1931 بعد أن كانت للمواطنين فقط ، وهو ما رفضته عصبة الأمم فى جنيف . مما أدى إلى إنسحاب اليابان من عضوية عصبة الأمم عام 1933 ، وبالتالى توقف التقارير الدولية التى كانت تقدمها الحكومة اليابانية عن أوضاع هذه المناطق تحت وصايتها . وتبع ذلك إعلان الحكومة اليابانية أن هذه المناطق بالكامل محظورة على الأجانب ، ورفضت السماح للجان عصبة الأمم بزيارتها .

فى ذلك الوقت ترددت أنباء غير مؤكدة من بعض الصيادين المحليين ، أن اليابانيين يقومون بإنشاءات ضخمة فى بعض الجزر . وربما لإقامة قاعدة بحرية فى المنطقة ، تحسبًا للحرب القادمة . ولما كانت معظم الجزر عبارة عن تجمعات مرجانية ، على هيئة تجمعات صغيرة غير متصلة فى وسطها بحيرة كبيرة Atoll ، فقد انحسرت التكهنات فى الجزر البركانية وعددها 57 جزيرة ، أكبرها جزيرة تراك Truk فى شرق جزر كارولاين ، وجزيرة ياب Yap فى غُرب المجموعة ، والمسافة بينهما حوالى 2200 كيلو متر . أما مجموعة الجزر نفسها فتمتد من الغرب إلى الشرق لمسافة 3300 كيلو متر ، شمال شرق أوستراليا فى قوس واسع عريض جدًا .

كان معنى إقامة قاعدة بحرية من هذا النوع فى تلك المنطقة ، أن يتمكن اليابانيون من قطع شريان الحياة تماماً عن الفيليبين ـ التى كانت تحت الوصاية الأمريكية . وتهديد خطوط المواصلات البحرية إلى أندونيسيا ـ التى كانت تحت الوصاية الهولندية ، وكذلك أوستراليا ونيوزيلاندا ، وكل القواعد البريطانية والفرنسية فى جنوب غرب الباسفيك . وكان لابد من معرفة ماذا يفعله اليابانيون بالضبط ؟ ولكن كيف ؟ لم يكن هناك فى ذلك الوقت أقماراً صناعية للاستطلاع عن بعد ، أو طائرات استطلاع بعيدة المدى ، أو سفن إليكترونية للتجسس أو غيرها من المكتشفات الحديثة . وكانت القوات البحرية اليابانية فى تعاظم مستمر ، ويسيطرون على المنطقة وأهلها تماماً ، حتى لقد أصبح عدد اليابانيين ـ بعائلاتهم ـ فى جزر كارولاين فى ذلك الوقت حوالى 70 ألفاً ، أى ضعف عدد المواطنين . وهكذا الحال فى باقى مجموعات الجزر . وحرصت الدول المختلفة على ألا تتحرش باليابانيين بأى حال ، فهم لم يكونوا مستعدين للدخول فى حرب خاسرة .

* * *

فى يوم من أيام الربيع ، وصل الضابط إيرل إلى قريته ، حيث يقيم والده ووالدته ، وأخبرهم أنه قد أصبح مدنياً خارج الخدمة فى مشاة البحرية ، لفترة قد تطول أو تقصر . وأنه يريد الحصول على إجازة خاصة للقيام برحلة فى المحيط الباسفيكى . ولكنه

خلال هذه الفترة ، فإنه من المستحيل الاتصال به ، كما أنه من غير الممكن على والديه مراسلته لأنه سيكون دائم الترحال . ولو صار كل شىء على ما يرام ، فسوف يتصل بهم بعد ثمانية أشهر . ولم يكن هناك سوى عدد قليل من الأصدقاء القدامى فى قسم البحرية بوزارة الدفاع ، وفى مشاة البحرية ، الذين يعرفون حقيقة رحلته بصفة غير رسمية .

كان إيرل يريد أن ينتزع من والديه وعداً صريحاً بألا يفعلوا أى شىء بعد مرور الأشهر الثمانية التالية . فلا استعلام ولا بحث ولا استفهام ولا علانية ، حتى ولا أى خطابات لقيادة مشاة البحرية للاستفسار . وأصر إيرل على هذه المطالب دون تفسير ، وإن كان قد أكد لوالديه أن شيئاً لن يحدث له خلال أجازته ، ولكن فى حالة حدوث شىء ما ، فيجب أن يتصرفوا هكذا . ونحن نعرف الآن النهاية المؤلمة ، ولكن الأسرة حاولت الاستفسار بطريقة متكتمة ، بعد مرور الأشهر الثمانية . وكان رد قيادة مشاة البحرية يُظهر بوضوح أنهم لا يعرفون شيئاً ، فطبقاً للسجلات الرسمية فإن الكولونيل Colonel ـ عقيد ـ إيرل اليس قد ترك الخدمة . ولم يذكروا شيئاً عن أية خطط لتكليفه بالسفر إلى الباسفيك .

وبناءً على استفسارات من والدته ، أرسلتها إلى مقار البعثات التبشيرية الفرنسية والبريطانية فى جنوب غرب المحيط الباسفيكى ، جاءها خطاب مختصر من شاب فى مجموعة جزر نيو هيبرديز

New Hebrides شمال شرق أوستراليا ، وهى الجزر التى ما زالت تحت الوصاية البريطانية والفرنسية المشتركة . وذكر الخطاب أن إيريل قد وصل إلى المنطقة فى مركب شراعى صغير للتزود بالمياه ، ثم اتجه شمالاً على الفور ، وكان ذلك فى بداية صيف عام 1934 .

وبعد أربعة أعوام من ذلك ، جاءت بعض الأنباء الأخرى من طوكيو ، مما أثار الدهشة . فمن بين الأماكن الأخرى التى كان يجب عليها أن تتخذ قرارًا معلنًا ، أدلت اليابان بدلوها فى الموضوع المحير ! وأعلنت فى بيان مقتضب أن إيرل قد « قُتل مصادفة » فى المنطقة المحظورة بجزر كارولاين . والأكثر دهشة من ذلك أن اليابانيين ، حددوا شخصيته بالضبط ، باعتباره ضابطًا فى مشاة البحرية الأمريكية برتبة كولونيل .

واليوم ، بعد هذه السنوات الطويلة لا يمكن القول بأن تضحية إيرل بنفسه لم تكن بلا مقابل . فقد أصبح من الواضح الآن أن المعلومات التى أمكنه إرسالها بالراديو أكدت وجود قاعدة بحرية يابانية فى جزيرة تراك ، مع معلومات سرية أخرى لا نعرفها وقد مكنت مثل هذه المعلومات للبحرية الأمريكية ، كيفية إدارة المعارك البحرية الشرسة التى جرت بعد سنوات قليلة عند اندلاع الحرب العالمية الثانية بعد سنوات قليلة من ذلك . وأمكن إنقاذ آلاف الجنود وكسب عشرات المعارك بمثل هذه المعلومات .



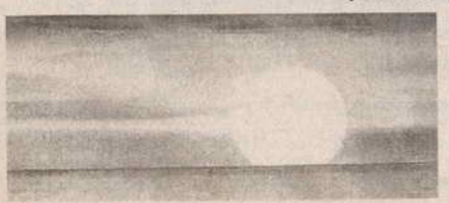
توجه إيرل بمركب شراعى لاستطلاع القاعدة اليابانية فى الباسفيك

فعندما قام الكولونيل إيرل برحلته التى لا عودة منها ، لم تكن هناك المخابرات المركزية الأمريكية CIA ، أو وكالة الأمن القومى NSA ، أو باقى أجهزة المخابرات المتعددة الآن . وفى واقع الأمر لم يكن هناك فى ذلك الوقت إلا ماكان يعرف « بمكتب مخابرات الجيش » ، التابع لوزارة الدفاع الأمريكية فقط . ويبدو أن الكولونيل إيرل قد قام برحلته الخطرة تحت إشراف هذا المكتب وبتوجيه منه .

من المحتمل أيضًا ـ طبقًا لما تسرب حتى الآن ـ أن الكولونيل إيرل أبحر من ميناء سيدنى Sydney شرق أوستراليا ، فى مركب شراعي صغير كان معدًا له . ثم اتجه نحو الشمال الشرقى ، حيث توقف للتزود بالمياه ، ثم واصل إبحاره نحو جزر كارولاين فى الشمال مباشرة . وهذه الجزر تحقل بأشجار جوز الهند Copra والغابات الإستوائية ، ومناجم الفوسفات واليابانيون بالطبع !

وكان الكولونيل يحمل بالطبع فى مركبه ، جهازًا أوليًا للتليفون اللاسلكى من طراز سيرز Sears . والأجهزة الأولى كانت تسمح له بالتحدث بالكلمات مع ترك فواصل زمنية بين الكلمات ، ولكنه يتلقى الرد على ذلك بطريقة موريس ـ أى بالنقاط والشرط . وكانت هناك محطات لاسلكية للاستماع فى جزيرة جوام الأمريكية ناحية الشمال ، والفيليبين ناحية الغرب ، ونيو جينيا الأوسترالية ناحية الجنوب . ومهما يكن من أمر ، فقد كان فى إمكان إيرل إرسال معلوماته الثمينة بمثل هذا الجهاز البدائى ، وأدى مهمته ، حتى لُقب ببطل الأبطال .

ولكن يبدو أنه وقع فى أيدى اليابانيين بطريقة مفاجئة ، لم تُتح له استخدام كبسولات الانتحار من سم الأكونايتين Aconitine ، التى يزود بها الأشخاص فى المهام الخطرة . خاصة وأن اليابانيين مشهورون بطرق التعذيب الفريدة ، التى أخذوها من المغول أثناء غاراتهم على السواحل اليابانية عام 1100 ميلادية ، انطلاقًا من شبه جزيرة منشوريا « كوريا » ، وعرفوا منه أنه ضابط فى مشاة البحرية . وهذا السُم قلوى ، يستخرج من نبات برى له زهرة زرقاء فى صحراء كاليفورنيا ، وكانت جذوره تستخدم كمخدر قوى . ولكن السم نفسه يقتل فى دقائق دون ألم ، خلافًا لسم السيانايد Cyanide .



بتصرف مختصر عن المصدر :

War Monthly Magazine,

by William White , dated Des . 2002 .

Standard House , Bonhill street , London Ec 2 A , England .

7ـ قدم جزءًا منه هدية لأخيه ..

[بقلم : نورما رجينالد]

كان الفتى تود كونر ـ 14 سنة ـ متعلقًا بكرة القدم ، فلما جاء أخوه آلين للحياة فى أكتوبر 1975 ، تنافس مع شقيقته لورى ـ 15 سنة ـ فى الاهتمام به . فقد سحر هذا الرضيع الصغير ، الذى لم يزد وزنه عن أربعة كيلو جرامات ، نجم الكرة وجذبه من عالمها .

فى عصر يوم فى منتصف الشهر التالى ، كان تود يحتضن الرضيع ليضعه فى مهده ، حينما لاحظ رأس آلين مبللة بالعرق الغزير . ومد تود أصبعه ، فالتفت حولها خمسة أصابع صغيرة وأحكمت إغلاقها فى تشنج عنيف ، ثم ترهل جسده تمامًا . أسرعت الأم إلى وليدها ، ولكنها عجزت عن انعاشه ، فهرعت إلى مستشفى مدينة أتلانتا Atlanta للأطفال ، على بعد 30 كيلو مترًا من مزرعتهم فى قرية كونييرز بولاية جورجيا Georgia .

أزال الأطباء فى المستشفى الشعر الذهبى فى رأس الرضيع ، وغرسوا فى المنطقة الطرية الأمامية إبرًا طويلة تتصل بأنابيب . وأخذ الفنيون يحصلون على عينات الدم والسوائل وصور الأشعة والشرائح والتحليلات وما إلى ذلك من قياس الضغط وعينات البول ودرجة الحرارة .

بعد يومين من العذاب لكل الأسرة ، جاء التشخيص مدمرًا .

فهناك عجز مستمر فى الكليتين ، لتوقف صمامى المجريين من الكليتين إلى المثانة . مما يجعل البول يرتد مرة أخرى إلى الكليتين ويؤذيهما تمامًا . وكان لابد من إجراء عملية جراحية لإصلاح الصمامين أو استبدالهما لوقف ارتداد البول . ولكن الرضيع لا يمكن أن يتحمل مثل هذه العملية المعقدة . ولجأ الجراحون إلى حل آخر ، وهو شق بطنه ، وإدخال أنبوب مطاطى لتفريغ البول المتراكم أولاً بأول فى المثانة إلى الخارج . وأجلوا الجراحة إلى أن يبلغ وزن الرضيع أكثر من سبعة كيلو جرامات على الأقل .

عندما شاهد تود شقيقه الرضيع ، وهو يتعرض لوخزات الإبر وشق البطن كاد يبكى ، وحول عيناه إلى مشهد آخر . وأخذ يسأل الأطباء إن كان الرضيع يشعر بالألم ؟ ولكن والده أخذ يطمئنه بأن كل شىء سوف يكون على ما يرام بعناية الله ولطفه .

سمح الأطباء بعودة الرضيع إلى المنزل بعد سبعة أسابيع ، وكانت الجراحة المؤقتة قد أعادت إليه نبض الحياة . وتعلم آلين أن يجلس وأن يحبو وأن يلعب مع شقيقه الأكبر ، ولكن وزنه لم يزد بل إنخفض وهو فى شهره السابع من عمره .

فى أحد الأيام وجده تود نائمًا وحده ، وقد شحب وجهه . فلما جاءت أمه كارولين ، ضغطت على جلده عند البطن بين إصبعين ، فلم يرتد الجلد إلى وضعه الطبيعى بمرونة ، فأسرعت به إلى المستشفى . ولم يسمح الأطباء بعودته إلى المنزل مرة أخرى إلا بعد

خمسة أسابيع . وفى منزلهم الريفى ، عقدت الأسرة مساء اليوم اجتماعًا للتشاور ، قالت فيه كارولين إن الأطباء يقولون إن آلين سوف يصاب بعجز فى الكليتين قبل أن يتم عامه الأول .

ولكن حال آلين تحسنت فى الأسابيع التالية ، بفضل الرعاية الدائمة ، والتغذية السليمة والأدوية الكثيرة . وحل عيد ميلاده الأول ، فأعدت الأسرة له حفلة صغيرة ، بما فيها كعك وعصير وبالونات . كان آلين قد تعلم المشى وأن يصفر وأن ينزع ملابسه وحده . وكانت تسليته المفضلة أن يعتلى كتفى أخيه تود فى أنحاء المنزل والشرفة صائحًا « هيا يا حصانى ! »

عندما ارْتفع وزن آلين إلى سبعة كيلو جرامات وربع الكيلو جرام فى ديسمبر 1976 ، أشار إخصائى الكلى فى المستشفى أن الطفل يمكنه الآن أن يتحمل جراحة زرع صمامين جديدين . كان الطفل قد تعلم من المرات السابقة التى دخل فيها المستشفى أن « ضياع » حذائه يعقبه الألم ، فطلب من شقيقه تود أن يعقد رباط حذائه جيدًا حتى لا يضيع . وتحركت السيارة وهو يلوح لشقيقه الأكبر .

انقضت العملية بنجاح ، وعاد آلين إلى المنزل ليلة عيد الميلاد ، وقد انخفض وزنه إلى أقل من ستة كيلوجرامات . ولكن آلين أحس بالسعادة وهو بين أشقائه ، الذين أحضروا له هدايا كثيرة ولعبًا محببة لديه . واستمر الطفل فى حالة جيدة سبعة أشهر

أخرى ، إلى أن فقد شهيته وامتنع عن تناول ما يكفيه من غذاء للمحافظة عل وزنه . واقترح الأطباء تغذيته إجباريًا عن طريق أنبوب طويل يخترق أنفه حتى معدته أربع مرات يوميًا بسوائل مرتفعة السعرات الحرارية « كالورى » . وأكدت التحليلات استمرار عمل الكليتين بصورة طبيعية .

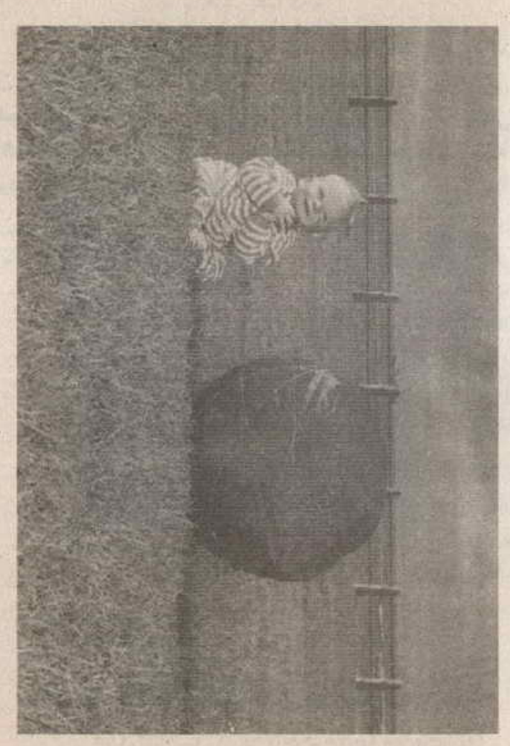
كشفت الاختبارات والتحاليل عن تدهور مفاجئ خلال شهر يناير 1978 ، وأخذ الطفل يتعثر فى مشيته . فعرضته أمه على إخصائى فى أتلانتا ، فقرر أن الطفل مصاب بمرض فى العظام ، يصاحب عادة عجز الكليتين عن أداء وظيفتهما . ومع تدهور حالة آلين فى الأشهر التالية ، نقل إلى مستشفى جامعة مينيسوتا لإجراء غسيل دموى شامل . وكان الأطباء فى هذه المستشفى ـ المشهورة بعلاج مثل هذه الحالات ـ قد أشاروا على الأم ضرورة زرع كلى للطفل خلال الصيف . وفى هذه الحالة لن يعانى الطفل من مرض العظام أيضًا .

عندما عرف تود برأى الأطباء ، صمت برهة وقال لوالديه « إننى أود أن أعطى آلين إحدى كليتى ! » فقال له أبوه أنه فكر مع والدته فى هذا الموضوع ، ولكننا لا نوافق عليه . فإذا تطوع تود أو شقيقته بكلية أى منها ، ثم لم تنجح الجراحة ، فإذا حدث شىء مستقبلاً للمتطوع فماذا يكون الأمر ؟ فانفجر تود قائلاً أنه يحتاج فقط لكلية واحدة لبقائه على الحياة ، ولا بد أن يسمح والده بإجراء الفحوصات الضرورية لنقل كليته على الفور .

أصرت الشقيقة لورى على منح آلين كليتها هى ، ولكن الأطباء شرحوا لهم أن المشكلة الرئيسية هى رفض الجسم للعضو الدخيل ، ولابد من التأكد من توافق الأنسجة أيضًا . وأنواع الأنسجة تحددها عوامل وراثية أربعة « أنتيجينات » . ولكى يتحقق التوافق النسيجى ، لا بد أن يتطابق اثنان على الأقل من هذه العوامل أو المؤشرات . فإذا ارتفع التوافق كى يشمل العوامل الأربعة لدى أشقاء الدم ، ارتفعت نسبة النجاح إلى 95 فى المائة . فإذ كان المانح أحد الوالدين تراوحت نسبة النجاح حتى 75 فى المائة ، تنخفض هذه النسبة إلى 50 فى المائة إذا كان المتطوع عضوًا آخر من غير أعضاء الأسرة .

أظهرت اختبارات الأنسجة تطابقًا كاملاً فى العوامل الأربعة بين تود وآلين ، ووافق الوالدين على إجراء الجراحة ، حيث تحدد لها صباح يوم 10 مايو 1978 . كانت هناك غرفتين للعمليات مفتوحتين على بعضهما البعض ، فى إحداها تود وحوله مجموعة من الأطباء والممرضات ، وفى الأخرى الطفل آلين وفريق آخر من الجراحين .

جرى على الفور انتزاع كلية تود من جانبه الأيمن ، وجرى غسلها بمحلول معقم لإزالة الدماء ، بينما شرع الفريق الطبى فى غلق جرح تود ، ونقله بسرعة إلى غرفة العناية المركزة . وكانت كلية تود أكبر حجمًا بثلاثة أضعاف حجم كلية آلين ، ومع ذلك وضعها الجراحون فى التجويف المفتوح . فهم يعرفون أن الكلية سوف تنكمش بعد العملية إلى حجم يوافق آلين ، ثم تعود فى النمو تدريجيًا . وبعد ست ساعات أخرى أنتهت العملية بنجاح .



أتاحت هبة الشقيق الأكبر حياة جديدة للطفل الأصغر

وسرعان ما خرج الأخوان من المستشفى ، ولكن كان علىَ الأم أن تصطحب الصغير آلين لإجراء التحليلات الدورية فى المستشفى . فضلاً على أن آلين سوف يظل طوال حياته يتلقى الأدوية المضادة لطرد الأعضاء الدخيلة من جسمه . ولكن هبة تود لأخيه كفلت له حياة مفعمة بالبهجة والسعادة .



بتصرف مختصر عن المصدر :

Family Weekly Magazine, by Norma Reginald , dated May 1980 .

641 Lexingion Avenne . New York , N . Y . 10022 , USA

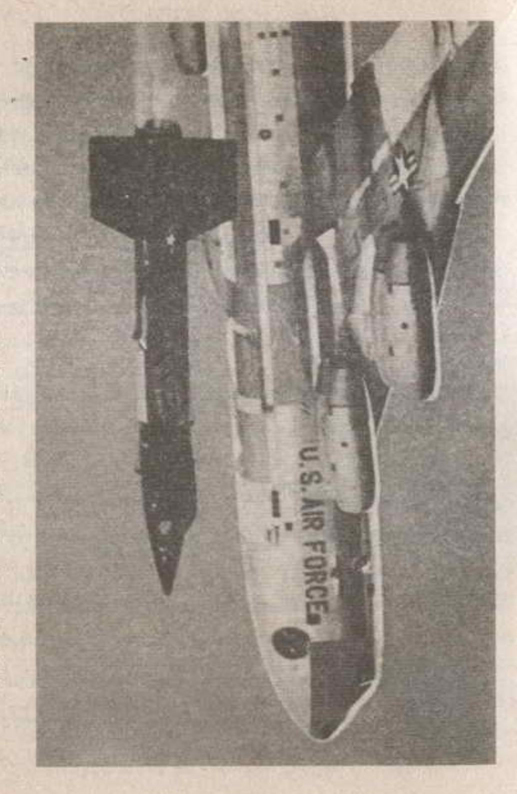
8ـ داخل قاذفة قنابل على وشك الانفجار ..

[بقلم : جون هويل]

قبل دقائق قليلة من الثامنة مساءً يوم 28 أبريل 1958 ، انطلقت قاذفة القنابل الضخمة من طراز 47 ـ B ـ ستراتو جيت Stratojet ـ من قاعدة آبيلين الجوية Abilene وسط ولاية تكساس Texas فى أقصى الجنوب الشرقى الأمريكى . وسرعان ما أصبحت القاذفة فى طبقات الجو العليا ، على ارتفاع أعلى من عشرة كيلومترات . وكان الهدف هو التدريب على الطيران الليلى ، وإحكام قذف القنابل من الارتفاعات العالية . بالإضافة إلى تقدير الكفاءة الفنية للملازم « ليفتنانت » كوبر جريسون Cooper Grayson كملاح جوى فى مثل هذه القاذفات .

كان الميجور ـ رائد طيار ـ جيمس جريفز James Graves قائد الطائرة يجلس فى مقعده بالمقصورة العليا فى كابينة الطائرة . وإلى يمينه مساعده الكابتن ـ نقيب طيار ـ جيمس أوبرينوف James Obrenov . أما فى المقصورة السفلى فقد جلس الميجور جوزيف ماكسويل Joseph Maxwell ـ ملاح القاذفة ـ يؤدى عمله ، وفى نفس الوقت يراقب أمامه فى مقدمة القاذفة عمل الملازم كوبر ـ الملاح تحت الاختبار ـ ويراجع البيانات والإحداثيات التى يدونها .

كانت المهمة التدريبية تتضمن الطيران على ارتفاعات عالية ،



القاذفة بى 47 ، تسقط من تحتها طائرة صاروخية X-15 أثناء تجربتها ، وقد تطورت إلى القاذفة B-52

نحو مدينة أماريللو Amarillo فى الشمال الغربى لولاية تكساس للقيام بغارة وهمية . ثم الانطلاق منها شمالاً نحو مدينة دينيفر Denver ، بولاية كولورادو Colorado الأمريكية للقيام بغارة وهمية مماثلة . وعادة ما تحمل هذه القاذفة مجموعة من القنابل النووية ، ولكن فى مثل هذه الغارات التدريبية الوهمية فقد استبدلت بمجموعة أخرى من القنابل شديدة الانفجار ، زنتها 20 طنًا .

فى حوالى الساعة العاشرة مساءً ، كان الملازم كوبر قد أنجز الغارة الوهمية على مدينة أماريللو . وأبلغ قائد الطائرة للتوجه نحو الهدف التالى للقيام بغارة مماثلة ، ثم العودة إلى قاعدتهم فى خط مباشر . وفى تلك اللحظة حدثت مجموعة من الإنفجارات المتتابعة ، هزت الطائرة بعنف . وشاهد الميجور جريفز النيران وهى تشتعل تحت الجناح الأيمن ، والتى يمكن أن تمتد إلى مستودعات الوقود بسهولة وتؤدى إلى انفجار القنابل داخل مستودعات القاذفة فى دقائق . لذلك أصدر أمره على الفور إلى ملاحى الطائرة فى المقصورة السفلى عبر التليفون الداخلى بالقفز من القاذفة المشتعلة .

تُعد الطائرة 47 ـ B ستراتو جيت ، قاذفة قنابل بعيدة المدى ، وقد صنعت منها شركة بوينج 1367 طائرة خصيصًا لحمل القنابل النووية ، ولذلك فإنها كانت تابعة للقيادة الجوية الإستراتيجية SAC ، منذ دخولها الخدمة فى أكتوبر 1951 . والقاذفة مزودة

بستة محركات نفاثة، وطاقمها من ثلاثة أشخاص فقط، واتساع الجناحين Span 35.37 متر، وطولها 32.62 متر، وحمولتها 78 ألف كيلوجرام. وسرعتها القصوى 1170 كيلومترًا فى الساعة، على ارتفاع 13 كيلومترًا، لمدى حوالى 19 ألف كيلومتر دون التزود بالوقود فى الجو. وقد سُحبت من الخدمة فى 29 ديسمبر 1967، وحلت محلها القاذفة بعيدة المدى B ـ 52 ستراتو فورتريس التى مازالت حتى الآن. ثم أضيف إليها القاذفة بعيدة المدى الأسرع من الصوت B ـ 1 لانسر Lancer.

* * *

فور تلقى إنذار قائد الطائرة بمغادرتها، أدار الملازم كوبر مقعده، فشاهد الميجور ماكسويل يحمل الباراشوت Parachute الذى كان قد خلعه حيث أومأ إليه بفتح الباب الجانبى والقفز من الطائرة، لحين تثبيت مظلته. وعندما فعل كوبر ذلك بسرعة، إندفعت موجة هائلة من الرياح الباردة من الباب المفتوح، فمزقت مظلة ماكسويل، وأزاحت قناع الأوكسجين عن وجهه، ودفعته بعنف فسقط على الأرض فاقد الوعى، وقد غطته بقايا المظلة الممزقة.

أما فى المقصورة العليا، حيث الطيار ومساعده، فقد كان الأمر أسوأ من ذلك. حيث قام الميجور جريفز بتشغيل جهاز الطيران الآلى Auto ـ Pilot لتحديد مسار الطائرة لنفس الاتجاه. وجذب

مساعده أوبرينوف عتلة بجانبه، فانزلق الغطاء العلوى الواقى للمقصورة العليا. وأخذا يحكمان ربط أحزمتهما بالمقعدين، وعندها جذب جريفز قضيبًا آخر، لقذف مقعديهما من الطائرة بالصواريخ، حيث أن كل مقعد مجهز بباراشوت يفتح آليًا عند ارتفاع معين. ولما لم يحدث شىء، كرر جريفز المحاولة عدة مرات ولكن دون جدوى.

كان عليهما ترك مقعديهما، والتوجه إلى الباب السفلى الخلفى للقفز منه بعيدًا عن دفع المحركات النفاثة. فأخذا يحرران نفسيهما من أربطة المقعد، وأزالا وصلتى أقنعتهما بخزانات الأوكسجين الثابتة فى الكابينة، ثم اتجها إلى أسفل عبر سلم صغير بسرعة. وشعر الاثنان بآثار نقص الأوكسجين، واضطربت المرئيات أمامهما. ولكن الميجور جريفز اندفع نحو الباب المفتوح، ونظر إلى مساعده وهو يتقدم خلفه مباشرة وشعر بالإطمئنان ثم قفز من الطائرة.

ارتطم مساعد الطيار أوبرينوف ـ وهو فى طريقه نحو الباب المفتوح ـ بما ظنه حذاء إنسان. فرفع المظلة الممزقة، حيث كان الميجور ماكسويل ملقى على ظهره فاقد الوعى. وتأكد أوبرينوف أن ملاح الطائرة سوف يلقى مصرعه خلال دقائق من نقص الأوكسجين، أو من انفجار الطائرة فى الجو. وأخذ مساعد الطيار يبحث فى الممر المظلم الضيق عن المظلة الإحتياطية، كى يلقيها على ماكسويل ويقذفه من الطائرة بسرعة، ولكن دون جدوى. ووقف للحظات وهو ينظر إلى ماكسويل، وقد بدأ يحس بالاختناق من نقص الأوكسجين. وتردد قبل أن يقفز من الطائرة المشتعلة، وما كان أحدًا ليلومه، فلم يكن فى إمكانه أن يُنقذ ماكسويل.

ومع ذلك تراجع أوبرينوف عن الباب المفتوح، وأخذ يرتقى السلم إلى المقصورة العليا، بكل ما تبقى له من قوة، فلم يكن فى إستطاعته أن يترك الميجور ماكسويل لمصيره المحتوم، رغم أن موتهما معًا فى القاذفة المشتعلة لا معنى له.

جلس أوبرينوف فى مكانه، وأوصل قناعه بخزان الأوكسجين، ونظر يمينه فشاهد الجناح الأيمن يلتهب بالنيران، بسبب الشرارات المنبعثة من أحد المحركات النفاثة الثلاثة فى هذا الجانب بعد إنفجاره، فأغلق صمام الوقود الذى يغذى هذا المحرك التالف. ثم فصل جهاز الطيران الآلى كى يمكنه توجيه القاذفة إلى أسفل بسرعة حيث الأوكسجين فى الجو الكثيف لإنقاذ ماكسويل.

كانت كابينة الطائرة بدون غطاء واق، والرياح تصفع وجهه بسرعة 400 عُقدة Knot ـ والعُقدة مقياس للسرعة وتساوى 1.852 كيلو متر فى الساعة ـ فلم يعد أوبرينوف يرى شيئًا وقد التهبت عيناه. بينما كانت القاذفة تندفع بأقصى سرعتها إلى أسفل، من ارتفاع 10,350 مترًا، ودرجة حرارة 35 درجة مئوية تحت الصفر. وكان أوبرينوف يعرف أنه بهذا الإنقضاض يُكلف جسم القاذفة وأجهزتها أكثر مما تتحمله عند تصميمها، وقد تتمزق وتنفجر فى أية لحظة، ولكن الأمر يتعلق بحياة إنسان.

عند ارتفاع 1700 متر، اعتدل بالقاذفة فى طيران مستو، مع تخفيف سرعتها. ثم أدار جهاز الراديو على موجة الطوارئ، وذكر رقم

طائرته ـ 2278 ـ طالبًا المساعدة على الهبوط فى أقرب مطار. وعلى الفور اتصل به برج المراقبة فى قاعدة ألتوس الجوية Altus التى تقع فى أقصى الجنوب الغربى لولاية أوكلاهوما Oklahoma، شمال تكساس مباشرة. وحدد الفنيون فى قاعدة ألتوس موقع القاذفة المشتعلة بأجهزة الرادار، وأخذوا يوجهونها باللاسلكى للهبوط فى القاعدة على مسافة 300 كيلو متر شرق مدينة أماريللو.

كانت القاذفة من قبل فى مهمة فى قاعدة جزيرة جوام الجوية Guam فى غرب المحيط الباسفيكى، حيث التصقت بها حبيبات الرمال الدقيقة. والتى أثارتها الرياح فأخذت تغمر وجه أوبرينوف، حتى لم يعد فى إمكانه قراءة العدادات الكثيرة فى لوحة القيادة. واضطر إلى تخفيض سرعة القاذفة إلى أقصى حد، لتقليل سرعة الرياح. وأمكنه بطريقة ما الاسترشاد بالبوصلة أمامه، وأدار الطائرة طبقًا لتعليمات قاعدة ألتوس.

بعد حوالى 48 دقيقة كانت القاذفة تحلق فوق قاعدة ألتوس بالفعل. وأخذ الفنيون يهيبون به للهبوط فوق الممر المضاء تحته، حيث اتخذت كافة الإجراءات الاحتياطية فى هذا الموقف. ولكن أضواء المطار والممر لم تكن تعنى شيئًا بالنسبة إليه مع هذه الرياح والرمال التى تصك وجهه طوال الوقت. فلكى يرى الممر حقًا أمام الطائرة أثناء هبوطها، لابد من تشغيل كشافات الطائرة نفسها، ولكن مفاتيح تشغيلها فى الجانب الآخر الخاص

بقائد الطائرة . وفكر أوبرينوف أنه من الأفضل ـ والحالة هكذا ـ أن يهبط فى قاعدته وممرها الطويل المألوف ، وحيث الإمكانيات الأكثر لتوجيه القاذفات . ولذلك طلب من برج مراقبة قاعدة ألتوس توجيهه نحو قاعدة آبيلين الجوية على بعد 200 كيلومتر أخرى ناحية الجنوب .

لاحظ أوبرينوف أن النيران قد خمدت فوق الجناح الأيمن ، ولكن الشرارات ما زالت تنبعث من المحرك النفاث التالف ، رغم وقف تدفق الوقود . وأخذ يكافح بإصرار للوصول إلى قاعدته ، حتى اقترب منها . وفى تلك اللحظة شعر بمن يجذب ساقه ، وشاهد ماكسويل فى أرضية المقصورة شاحب الوجه . فطلب منه أوبرينوف تشغيل مفاتيح ضوء الكشافات الأمامية للقاذفة من المقصورة الجانبية الخاصة بقائد الطائرة . لم يكن الميجور ماكسويل ـ كملاح للطائرة ـ يعرف شيئاً عن لوحة القيادة ، ولم يجرؤ على تشغيل المفاتيح كلها . فعاد إلى أوبرينوف حيث وصف له مكانها ، فتحامل ماكسويل على نفسه وأدار المفاتيح المطلوبة ، وأصبح من الممكن الهبوط بالقاذفة على ضوئها .

أخذ برج قاعدة آبيلين ، يوجه القاذفة باللاسلكى ، حيث كان أوبرينوف يراقب البوصلة وينفذ التعليمات للوصول إلى ممر الهبوط . وكان الميجور جنرال ـ لواء جوى ـ دول رينولدز Dole Reynolds رئيس هيئة التدريب الجوى ، قد هرع إلى قاعدة آبيلين لمراقبة الموقف بقلق بالغ . واتصل بالطيار أوبرينوف بالراديو ، مشجعاً قيادته وعمله الرائع ، رغم الصعوبات التى يجابهها .

أخذت القاذفة تهبط رويداً ، وهى تخفض من سرعتها نحو الممر المضاء . ولكنها كانت تتجه مباشرة نحو حوالى 30 قاذفة من نفس النوع بجوار الممر ، وصرخ فنى المراقبة الجوية يطلب منه الدوران حول المطار ، ولكن أوبرينوف لم يكن لديه قوة لمحاولة أخرى للهبوط . وهنا تدخل رينولدز وقال فى هدوء « إقتراب رائع .. ولكن قد يكون من الأفضل لو اتجهت قليلاً ناحية اليسار » ونفذ أوبرينوف التعليمات ببطء . وأخيراً هبطت القاذفة بمعجزة ، وحولها العديد من سيارات المطافئ والإسعاف . بعد أيام قليلة غادر الاثنان المستشفى إلى القاعدة الجوية مباشرة ، حيث تجمع هناك كبار القادة فى السلاح الجوى الأمريكى . وتقدم الليفتنانت جنرال ـ فريق جوى ـ توماس باورز Thomas Powers قائد السلاح الجوى الأمريكى ، وثبت وسام الطيران الممتاز على صدر الكابتن جيمس أوبرينوف لعمله البطولى .



بتصرف مختصر عن المصدر :

Dallas Magazine , by John Huble, dated May 1958 .

2902 Carlisle . Dallas 75204 Texas , U S A .

9 ـ الإنقاذ المستحيل فى عاصفة ثلجية..

[بقلم : آلان سترافورد]

فى صباح العاشر من ديسمبر ، اصطحب جيم بليدز ، ابنه الصبى كلينت ـ 6 سنوات ـ فى رحلة قصيرة للصيد بزورقه السريع ، على طرف جزيرة لروزوف فى آلاسكا Alaska . وهذه المنطقة تزخر بأسماك السلمون الكبيرة الحجم ، ولكن لا يفصل بينها وبين اليابان سوى مياه المحيط الباسفيكى .

وقفت زوجته جيل فى شرفة منزلهم العائم أمام بلده سيتكا تراقب زوجها وابنها وهما يتواريان عن الأنظار داخل المحيط بقاربهما السريع بلو بيرد Blue Bird . وكانت جيل دائمة القلق على زوجها ، ولكنه كان يفضل كسب عيشه من صيد البحر دون أى عمل آخر ، فلم يكن أمامها إلا أن تسلم بالأمر وتدعو الله أن يحفظه .

بعد ظهر ذلك اليوم ، ارتفعت أمواج البحر بشكل غير مألوف ، حتى بدت كالجدران بجانب القارب . ولكن جيم اعتاد الصيد فى مثل هذه الظروف ، رغم أن موسم صيد أسماك السلمون قد انتهى بحلول فصل الشتاء . وكان جيم قد جمع حوالى عشر سمكات كبيرة ، يصل ثمنها إلى 750 دولار . وكان هذا يكفى لصيد يوم واحد ، حينما سمع أجراس شباكه ، وحين رفعها أضاف بضع مئات أخرى من الدولارات .

لاحظ جيم أثناء ذلك مغادرة جميع زوارق الصيد للمنطقة ، ولم يبق إلا زورقه وحده . وأدرك أن الظلام قد يدركه فى طريق العودة قبل أن يقطع حوالى 20 كيلومترًا فى هذا الجو العاصف ، ولم يكن مزودًا برادار لمعرفة أماكن الصخور . فخاطب زوجته بالراديو قائلاً لها أنه سوف يتجه إلى جزيرة سانت لازاريا القريبة حتى الصباح . ثم أدار مؤشر الجهاز إلى القناة الخاصة بنشرات الأحوال الجوية ، فاستمع إلى نفس التقرير . ولو كان قد أبقى الجهاز على هذه القناة لاستمع إلى نشرة خاصة فى السابعة مساءً ، تحذر من عاصفة ثلجية عارمة مع زيادة فى سرعة الرياح لتصل إلى 75 كيلومترًا فى الساعة خلال الليل ، مع ارتفاع لأمواج البحرين 6 - 8 أمتار .

وأثناء عودته وقف جيم يزيل الجليد المتراكم على السطح ، حينما شعر فجأة برياح قوية أدارت الزورق . فأمر ابنه على الفور بارتداء سترة النجاة والاحتماء فى كابينة الزورق . ومن مزايا هذه السترة المصنوعة من المطاط الإسفنجى البرتقالى اللون ، أنها تغطى الجسم كله ، وتحفظ حرارته ، وتبقى الشخص عائمًا . وبدونها يمكن أن يتجمد أو يموت بسرعة فى أقل من نصف ساعة ، حيث أن مياه المحيط تنخفض حرارته إلى أربع درجات مئوية فقط .

سلط جيم أضواء الزورق من حوله ، فشاهد أمواجًا عاتية ترتفع لأكثر من ستة أمتار ثم ترتطم على جرف قريب منهم على

بعد 30 مترًا . ففكر جيم أنهما لو اصطدما بتلك الصخور ، فسيكون القضاء عليهما تمامًا . ولذلك أدار محرك الديزل ، ورفع المرساة ، واتجه ناحية البحر . وفى لحظات وقع ما كان يخشاه ، إذ جاءت موجة عاتية رفعت الزورق عاليًا ثم قذفت به قرب الشاطئ . ثم جاءت أخرى ورمته قرب الصخور ، وكان جورج يسمع بوضوح عمليات السحق والضرب ، حتى لقد شعر بقاع الزورق ينفصل عن الزورق . امتلأ جوف الزورق بالمياه ، تطاير كل شىء بداخله ، فهرع جيم إلى جهاز الراديو على موجة الطوارئ طالبًا النجدة .

كانت زوجته جيل تقرأ فى منزلها العائم « البارج » ، حينما شعرت بتكسر الأمواج بشدة على الجدران . فأخذت تنادى زوجها بالراديو ، وعندما لم تتلق ردًا تحولت إلى قناة حرس السواحل Coast Gard ، فسمعت زوجها يقول بصوت هادى « ... لست متأكدًا من موقعى ! »

تجمع رجال الإنقاذ من رجال حرس السواحل فى إحدى طائرات الهليكوبتر المجهزة بونش وسلك . حيث انطلقت بسرعة ناحية صخور لاراريا ، وكانت المهمة شاقة ومعقدة بالفعل ، فالجليد يتساقط فوق سطح الماء ، والرياح عاتية والظلام دامس . ولكن الهليكوبتر عثرت أخيرًا على موقع الزورق بكشافاتها القوية . وبدأ الطيار يدور ويناور ليكون فى اتجاه معاكس للرياح ، وعندما تم ذلك كان الزورق قد اختفى . فلقد هبت رياح عاصفة حملت الهليكوبتر وأبعدتها حوالى عشرة كيلومترات دون أن يتنبه الطيار أو مساعده ، وهو ما يحدث لهما لأول مرة .

فى ذلك الوقت جاءت موجة صاخبة ، فأغرقت كابينة الزورق بالمياه . فأخذ جيم يصرخ فى الراديو « اسرعوا ! فالزورق يمتلئ بالماء ، ونحن على وشك الغرق » . سمعت جيل هذا النداء فى جهازها اللاسلكى ، فانتابها الذعر ، حيث لم تكن تعرف أن زورق زوجها هو الذى يتعرض للغرق . وأخذت تصلى لحفظ زوجها وابنها من هذه الأخطار .

تمكن أفراد الطاقم من العودة بالهليكوبتر مرة أخرى فوق الزورق ، وسلطوا الأضواء عليه ، فرأوا الأمواج العاتية تنهال على جانبه ، بينما كان جيم متشبث بحبال الصوارى وهو يلوح لهم . وجاءت دفعة عنيفة من الرياح فدفعت الهليكوبتر إلى الوراء مع انخفاض فى الارتفاع . مما اضطر الطيار إلى استخدام أقصى طاقة للمحرك لمقاومة هذه الرياح ، مما قد يعرضهم للخطر فى انفصال جهاز نقل الحركة من المحرك إلى ريش الطائرة . وكانوا فى الحقيقة طائرة من ورق فى مهب الريح .

حالف الحظ مجموعة الإنقاذ عندما خفت حدة الرياح المعاكسة لفترة ، سمحت لهم بالتحليق مرة أخرى فوق الزورق لوجود الحبال والصارى الطويل . فطلب منه مساعد الطيار أن يقفز هو وابنه إلى البحر ، والتقاط السلة . وهكذا فعل جيم وابنه كلينت ، حيث حاولا الابتعاد عن الزورق بمسافة كافية ، إلا أن الأمواج كانت تعيدهما مرة بعد أخرى ، ثم غرق تمامًا فى لحظات .



جرت عملية الإنقاذ بالهليكوبتر فى جو عاصف وأمواج عاتية

كانت الرياح والأمواج تبعد السلة عن متناول جيم ،ولم يستطع إمساكها أبدًا . واضطر غواص الفريق إلى القفز فى الماء لمساعدتهم . وبعد محاولات متكررة استغرقت نصف الساعة ، أمكن للغواص الإمساك بالسلة ، فتعلق بها جيم وابنه ، حيث أن الرافعة لا تستطيع حمل أكثر من 270 كيلوجرامًا . ثم تم رفع الغواص بعد محاولات أخرى مستميتة .

عادت الهليكوبتر إلى مركز حرس السواحل فى سيتكا ، وهم غير مصدقين بنجاتهم من هذه المحنة الشديدة . ولكنها كانت بالفعل اختبارًا لكفائتهم وخبرتهم . وقد منح أفراد طاقم الهليكوبتر الأربعة بالإضافة إلى الغواص ، عدة أوسمة رفيعة تقديرًا للبسالة التى أبدوها . ومنحتهم جمعية الطيران البحرى لقب « أفضل طاقم هليكوبتر » لسنة 1987 . كما فازوا بجائزة المؤسسة الأمريكية لحرس السواحل ، ومنحوا وسام ألاسكا ، ووسام الطيران المتميز وهو من أرفع الأوسمة فى غير وقت الحرب . وفى آخر العام منحوا أيضًا جائزة الأدميرال تشستر بيندر مؤسس حرس السواحل الأمريكى ، لتجاوزهم حدود قدراتهم فى العمل ، وما أبدوه من مهارة . ولكن الطاقم كله يشيرون إلى أن نجاتهم يرجع الفضل فيها إلى الله .

بتصرف مختصر عن المصدر :

Reade`s Digest Magazine, by Allan Strafford, Dated feb. 1989.

pleasantville, N. Y. 10570, USA

10 ـ ساعد مجهولاً فى محنته ، فارتدت إليه مروءته..

[بقلم : كينيث رينولدز]

كان ذلك فى الفترة الحرجة التى تسبق الصراعات العسكرية ، وأصبح معظم الأوروبيين يتوقعون هبوب العاصفة العارمة فى أية لحظة ، من مقدمات الأحداث التى تقع أمامهم بالفعل . فقد أصبح واضحًا أن ألمانيا النازية قد أصبحت قوة عالمية ضخمة منذ أن تولى الزعيم النازى أدولف هتلر منصب المستشار ـ أى رئيس الوزراء ـ فى 5 فبراير 1933 . ثم بدأ التوسع بعد خمس سنوات فقط ، حينما وافق الشعب النمساوى فى استفتاء عام على الاتحاد السياسى بين النمسا وألمانيا ـ اللتين تستخدمان اللغة الألمانية ـ حيث عرف ذلك باسم العملية أنشلوس Anchluss . وفى صباح يوم 12 مارس 1938 دخل الجيش الألمانى النازى إلى العاصمة النمساوية فيينا . وجرت بعد ذلك عمليات مطاردة واسعة لاعتقال وتصفية كل من أبدى اعتراضًا على هذا الاتحاد من النمساويين أنفسهم .

لم تتوقف أطماع هتلر عند هذا الحد ، وإنما اتجه إلى الدول المحيطة به ، وعقد اتفاقيات ثنائية مع رومانيا وهنجاريا « المجر » للتعاون المشترك ، ثم بعد ذلك مع إيطاليا واليابان ،

لتهيئة المسرح لما هو قادم من أحداث . وفى سبتمبر 1938 اندفعت الجيوش الألمانية لاحتلال إقليم السوديت Sudet ، شمال غرب التشيك ، والذى يسكنه أغلبية ألمانية . سارع رئيس الوزراء البريطانى نيفين تشمبرلين ، إلى إجراء مباحثات مباشرة مع هتلر فى مدينة ميونخ الألمانية ، فلم تكن هناك قوات كافية لوقف أطماع هتلر . واعترفت بريطانيا رسميًا بضم إقليم السوديت التشيكى إلى ألمانيا ، فى مقابل عدم الاعتداء على باقى الدول الأوروبية الأخرى . وهبط تشمبرلين من طائرته فى لندن ، وهو يلوح بالوثيقة التى تحمل توقيع هتلر ، وأنه قد أحضر لهم « السلام » . ولكن هذا الإحساس المفتقد لم يتعد السياسيين وبعض العسكريين القدامى ، فقد كان كل شخص فى أوروبا يتوقع اندلاع المعارك الضارية ، وأن الحرب على الأبواب .

* * *

كان رومان ردجينسكى Romain Rodzinski ـ البولندى الأصل ـ يعمل معلمًا للطيران فى أحد المعاهد الجوية قرب مدينة ليون Lyons فى جنوب شرق فرنسا . فلما احتلت القوات الألمانية إقليم السوديت التشيكى ، شعر بالقلق من أن تكون بلاده هى الهدف التالى لأطماع هتلر . خاصة وأن العلاقات بين بلاده والنظام النازى الجديد لم تكن جيدة ، بسبب ممر دانزيج Danzig شمال بولندا ، والذى كان على الألمان أن يعبروه برًا إلى إقليم بروسيا

prussia فى الشمال على بحر البلتيك . «بعد انتهاء الحرب أصبح ممر دانزيج يُعرف فى الخرائط باسم جدانسك Gdansk البولندى ، أما مقاطعة بروسيا الألمانية فقد قُسمت بين بولندا وروسيا حاليًا . »

قرر رومان العودة إلى وطنه بسرعة للالتحاق بالسلاح الجوى البولندى كطيار مقاتل ، استعدادًا للحرب القادمة لا محالة . وكان يمتلك طائرة خاصة من مخلفات الحرب العالمية الأولى ذات محرك مروحى واحد وجناح مزدوج ، ولها مقعدين . ولكنها قوية بما فيه الكفاية لقطع الرحلة جوًا من جنوب أوروبا ، وحتى أقصاها شمالا ، وإن كان عليه أن يتوقف فى مطارات مختارة على الطريق الجوى للتزود بالوقود بين الحين . وقدر لرحلته أنه سوف يقطعها فى يومين أو ثلاثة على الأكثر ، فى ذلك الجو البارد من شهر أكتوبر 1938 .

أنهى رومان كل متعلقاته بفرنسا ، وانطلق فى رحلته إلى وطنه . رسم خط سيره بدقة على الخرائط ، حيث يندفع نحو الشمال الشرقى من ليون الفرنسية . مرورًا على سويسرا ، ثم النمسا وتشيكوسلوفاكيا ، ثم أخيرًا بولندا . وحتى يتفادى الهبوط فى النمسا للتزود بالوقود ، هبط فى مطار قريب من دافوس Davos شرق سويسرا ، على أن يهبط بعد ذلك فى مطار . برونو Brno جنوب تشيكوسلوفاكيا ، فور عبوره الحدود النمساوية التى

تحتلها بالفعل القوات الألمانية . ولكنه عندما كان على مقربة من الحدود الشمالية للنمسا حدث خلل طارئ فى المحرك ، فاضطر إلى التوجه إلى مطار العاصمة النمساوية فيينا Vienna ، بعد أخذ التصريح اللازم للهبوط من برج المطار .

جرى تحقيق روتينى سريع من قبل السلطات فى مطار فيينا ، ولم يكن هناك شىء يشتبه فيه ، فأوراقه سليمة ، وطائرته خالية من الممنوعات بعد تفتيشها ، وهناك خلل بالفعل فى المحرك يقتضى إصلاحه بضع ساعات . وسمحت له السلطات النمساوية بقضاء الليل فى أحد الفنادق لحين إصلاح الطائرة واستكمال رحلته فى اليوم التالى .

قرر رومان شراء بعض الهدايا قبل رحيله فى صباح اليوم التالى ، ثم قضاء أمسيته فى الفندق ، فهو لم يكن يعرف أحدًا كما أنه لا يعرف الألمانية ، وأمامه رحلة طويلة . وعندما هم بالخروج من باب الفندق بعد الغروب ، اصطدم به رجل وهو يعدو ، وكانت الصدمة قوية حتى كاد أن يفقد توازنه . فأمسك بالرجل ليلقنه درسًا ، عندما أدرك أن وجهه شاحب تمامًا من الرعب ، وقال وهو يلهث محاولاً تخليص نفسه من قبضته «جستابو ! » . ورغم أن رومان لا يعرف الألمانية ، فإن الكلمة يعرفها الجميع وتدل على البوليس السرى الألمانى الرهيب « Gestapo » .

اصطحبه رومان داخل بهو الفندق ببطء ، متأبطًا ذراعه كأنهما

صديقان يتحدثان ، ثم صعدا إلى غرفته . حيث استلقى الرجل المجهول فوق الفراش ، وأخفى رومان جسده النحيل تحت الأغطية الثقيلة حتى بدا وكأنه خاليًا . ثم خلع ملابسه كى يتظاهر بأنه نهض لتوه من النوم ، إذا حضر رجال الجيستابو . وبالفعل حضروا خلال دقائق . وفحصوا جوز سفره ، وأوراقه الأخرى الخاصة بطائرته وتصريح سلطات المطار . ثم أخذوا ينهالون عليه بالألمانية ، وهو يجيبهم بتلك الجملة الألمانية التى يحفظها « لا أفهم ذلك ! » . فانصرفوا بعد أن ألقى أحدهم نظره تحت الفراش ودولاب الملابس وخارج النافذة .

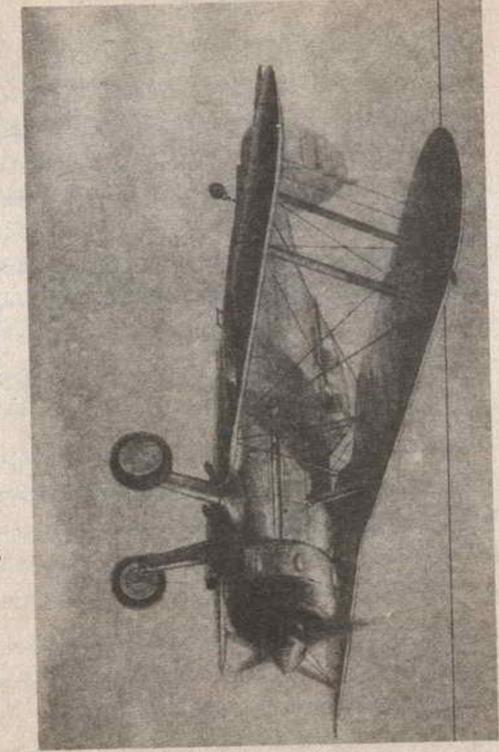
انتظر رومان حتى مرت ساعة كاملة ، إذ من عادة رجال البوليس أن يعودوا لتفتيش نفس الأماكن التى سبق لهم زيارتها . ثم أغلق الباب بالمفتاح ، ورفع الأغطية عن الرجل المجهول ، الذى أخذ يعبر عن شكره بسيل من العبارات الألمانية غير المفهومة ، ولكن نظراته كانت تدل على ذلك . وأفهمه رومان بالرسم والإشارة أنه يمتلك طائرة خاصة فى المطار ، وأنه فى طريقه إلى وارسو Warsaw عاصمة بولندا ، وقد يمكنه اصطحابه إلى خارج النمسا ، ولكن كيف ؟!

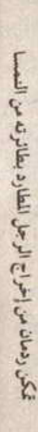
كان من المستحيل أن يتوجه الرجل المجهول بصحبته فى اليوم التالى إلى المطار ، ليستقلا الطائرة معًا دون أوراق رسمية . وأخذ الاثنان يفحصان خريطة الطيران بدقة ، حيث أفهمه رومان أنه من

المستحيل اصطحابه إلى وارسو مباشرة حيث أنه مضطرًا إلى الهبوط فى كراكاو Krakow جنوب بولندا ـ وفور عبور تشيكوسلوفاكيا ـ للتزود بالوقود . كما أنه من المستحيل أن يصطحبه إلى أى مطار رسمى ، فسوف يقبض عليه فور وصوله ، فضلاً عن المتاعب التى سوف يواجهها هو نفسه . واستقر الرأى على أن يتوجه الرجل المجهول بطريقته الخاصة خلال الليل إلى إحدى الغابات على بعد 20 كيلومترًا شمال فيينا . وعليه أن يختبئ بين الأشجار فى منطقة خالية شمال الغابة ، وأن ينتظر طائرته بعد العاشرة صباحًا ، حيث يمكنه الهبوط فى أحد الحقول والإقلاع بسرعة خلال دقائق . وبعد ساعتين أخريين ، خرج الاثنان من بهو الفندق كأنهما صديقان ، وسرعان ما اختفى الرجل المجهول فى ظلام شوارع فيينا .

فى اليوم التالى توجه رومان صباحًا إلى المطار وأنهى أوراقه وفحص طائرته ، ثم انطلق عاليًا نحو الشمال . ولكنه انخفض بها مرة أخرى وكأنه يختبر قوتها ، حتى وصل إلى أطراف الغابة شمال العاصمة ، وشاهد الرجل المجهول وهو يلوح له . فأسرع بالهبوط فى أحد الحقول بالقرب منه ، ثم انطلقا نحو الشمال .

عبرت الطائرة تشيكوسلوفاكيا ـ التى انقسمت الآن إلى دولتين ـ وسرعان ما شاهدا نهر الفستولا Vistula داخل الحدود البولندية حيث هبط رومان بطائرته قرب غابة على مقربة من محطة صغيرة للسكك الحديدية ، وبين لرفيقه على الخريطة موقعهم





تمكن رومان من إخراج الرجل المطارد بطائرته من النمسا

بالضبط ، وأعطاه بعض النقود وتصافحا فى صمت . ثم أقلع بسرعة إلى مطار كراكاو للتزود بالوقود .

وجد رومان فى انتظاره قوة من رجال البوليس ، مع المسئولين عن الهجرة والجمارك . وسألوه عن سبب هبوطه داخل النمسا بعد إقلاعه من مطار فيينا . فأكد لهم أنه اضطر للهبوط فعلاً فى أحد الحقول ، لاستمرار الخلل فى المحرك رغم إصلاحه ، ولكن المحرك انتظم بعد ذلك فتابع رحلته المصرح بها ، وأنه لم يهرب شيئًا أو يساعد أحدًا على الهروب من النمسا . وبموجب أمر التفتيش ، قام رجال البوليس بفحص الطائرة وأمتعته الشخصية فلم يجدوا شيئًا . فاستكملوا الأوراق الرسمية والتحقيقات ، وتركوه يواصل رحلته شمالاً حتى العاصمة وارسو Warsaw ـــ التى تقع أيضًا على نهر الفستولا . وهناك أبلغ المخابرات الحربية البولندية بما حدث بالضبط ، حتى يؤمن نفسه لو قبض على الرجل المجهول واعترف بكل شىء .

* * *

انضم رومان إلى السلاح الجوى البولندى ، وكانت معظم طائراته من مخلفات الحرب العالمية الأولى ولا تصلح لشىء . بل إن الجيش البولندى فى مجمله كان تحت قيادات جامدة غير متفتحة على التطورات الحديثة ، وهكذا كان يعتمد على فرق المشاة بأسلحتهم الصغيرة ، وسلاح الفرسان بخيوله ذات الرائحة المميزة .

كانت ألمانيا النازية قد وقعت سرًا معاهدة عدم اعتداء مع روسيا فى 23 أغسطس 1939 ، وكانت تنص على اقتسام بولندا . فلما اندلعت الحرب العالمية الثانية فى الأول من سبتمبر 1939 ، اندفعت الجيوش الألمانية من غرب بولندا ، والجيوش الروسية من شرقها . وهكذا تمزقت بولندا تمامًا خلال عشرة أيام فقط ، رغم الدفاع البطولى للجيش البولندى . والتقى الجيشان فى وسط بولندا عند خط (بريست ـ ليتوفسك) طبقًا للمعاهدة السرية .

استطاع المئات من الطيارين والضباط البولنديين الفرار من جحيم الاحتلال والاعتقال . ولكن من اتجه منهم جنوبيًا إلى تشيكوسلوفاكيا ثم هنجاريا « المجر » Hungary أو رومانيا Rumania ، فقد وقع فى المصيدة . إذ قبض عليهم فورًا بأوامر من الأدميرال ميكلوس هورثى Miklos Horthy دكتاتور هنجاريا . وكذلك بأوامر من الجنرال أيون أنتونسكو Ion Antonescu دكتاتور رومانيا ، وكلاهما متحالف مع هتلر . أما من اتجهوا شمالاً عبر بحر البلتيك إلى السويد ، فقد أمكنهم بعد ذلك التوجه بسفن الصيد إلى اسكتلندا ، بمساعدة غير رسمية من السلطات السويدية ، حيث أنها كانت على الحياد طوال الحرب . وقد كان رومان من هؤلاء الذين توجهوا إلى السويد ثم بريطانيا .

انضم رومان إلى باقى الطيارين البولنديين الذين لجئوا إلى بريطانيا من دول أوروبا المحتلة ، حيث تشكل منهم أسرابًا متعددة

ـ بعد تدريبهم ـ كان لها أثر كبير فى مسار الحرب فى جانب الحلفاء . وأصبح رومان قائدًا لإحدى قاذفات القنابل الضخمة من طراز لانكستر Lancaster ذات المحركات المروحية الأربعة . وفى إحدى الغارات العنيفة على شمال ألمانيا وبرلين فى مارس 1942 ، أصيبت طائرته بقذيفة من المدافع الألمانية المضادة ، انفجرت قرب كابينة القيادة أثناء عودتها . وأصيب رومان بإصابات بالغة من الشظايا المتفجرة ، ولكن مساعده تمكن من العودة إلى بريطانيا بمعجزة ، حيث نقل رومان إلى أقرب مستشفى ، بعد هبوط القاذفة فى أحد الحقول وتحطمها .

كان رومان فاقد الوعى تمامًا ، ومصابًا بكسور شديدة فى الجمجمة ، حتى أن الجراحين فى المستشفى اعتقدوا أنه لا فائدة ترجى من إجراء أية عمليات جراحية . ومع ذلك لم يفقد رومان حياته ، فلما عاد إليه الوعى وفتح عينيه بعد أيام طويلة ، شاهد طبيبًا ينظر إليه . ثم أخذ يتكلم الإنجليزية بلكنة ألمانية « هل تتذكرنى ؟ لقد أنقذت حياتى فى فيينا » . ووضع هذا السؤال حدًا لارتباك رومان فسأله بدوره «كيف استطعت العثور علىّ ؟ هل تعمل هنا ؟ »

فأجابه الرجل المجهول بابتسامة رقيقة ، حيث قال له باختصار شديد إنه توجه إلى وارسو بعد أن تركه . وهناك ساعده صديق على الوصول إلى اسكتلندا بأوراق مزورة عبر السويد . فلما ذاعت أخبار

الأسراب البولندية ، كتب إلى وزارة الطيران البريطانية وعرف بوجوده ، حيث حفظ اسمه الذى كان مكتوبًا على جانب خريطته . وعندما اتصل به صديق فى الوزارة يعلمه بإصابته الشديدة ، طلب نقله فورًا بطائرة خاصة إلى هذه المستشفى .

وتساءل رومان فى حيرة لماذا فعل كل ذلك ؟ فأجابه الرجل المجهول أنه أراد أن يرد جزءًا من جميله ، فهو كما يرى طبيب . وكان هذا الرجل هو أكبر إخصائى فى جراحة المخ والأعصاب فى العالم ، وهو البروفسير دكتور أوتو لوفى Otto Loewi ، الألمانى الحاصل على جائزة نوبل فى الطب عام 1936 لاكتشافه طريقة نقل النبضات داخل الأعصاب كيميائيًا .



بتصرف عن المصدر :

Reader's Digest Magazine, by Kenith Reynolds, dated April 1957.

pleasantville, N. Y. 10570, U.S.A.

11 ـ دافعوا عن جزيرتهم حتى النهاية ..

[بقلم : جيمس هاميلتون]

كانت المعلومات عاجلة ومهمة ، حتى أن الملازم طيار جورج بورجيس George Burges قرر إبلاغها فى الحال ، حتى ولو كان الأمر سوف يقطع الاحتفال الذى أقامه حاكم مالطا على شرف المارشال الجوى روبرت بروك Robert Brooke ـ قائد السلاح الجوى الملكى البريطانى RAF .

توجه الطيار بورجيس إلى قصر سان أنتون ، وتوجه مباشرة إلى حيث كان المارشال وقال له «سيدى .. من الواجب علىَّ أن أبلغكم أن موسولينى قد أعلن فى التو حالة الحرب على بريطانيا » . كان ذلك فى مساء يوم 10 يونيو 1940 ، وهذا يعنى بوضوح أن مالطا سوف تتعرض للهجوم ، حيث أعد موسولينى حوالى 200 طائرة قاذفة فى جزيرة صقلية Sicily والتى لا تبعد سوى 93 كيلومترًا شمال مالطا مباشرة ، بيما لا يوجد هناك سرب واحد من المقاتلات للدفاع . ورد المارشال على الضابط الذى لم يتّجاوز عمره 24 سنة « هل تناولت عشاءك يا بنى ؟ اجلس هنا ، فلن يمكنك القتال فى حرب بمعدة خالية » وهكذا فعل بروجيس ، بين 20 من كبار الضباط والضيوف . ومنذ اليوم التالى لم يجد الطيار أية فرصة كافية لتناول الطعام ، فقد انهمك طوال الوقت فى الدفاع عن الجزيرة .

ومالطا Malta عبارة عن جزيرة كبيرة طولها 27 كيلومترًا وعرضها 13 كيلومترًا حيث تقع عاصمتها فاليتا Valletta فى الجانب الشرقى كميناء مهم ، بدلاً من عاصمتها القديمة مدينة Mdina فى الجانب الغربى . وتوجد جزيرة جوزو Gozo فى الشمال الأقل حجمًا ، بينهما جزيرة كومينو Comino الصغيرة . وفى الجنوب جزيرة صغيرة «فيلفلة» أو فيلفلا Filfla ، ومعظم السواحل صخرية حادة ومرتفعة ، ولكن يرجع تاريخ الجزيرة إلى عام 2700 قبل الميلاد ، حيث كانت قاعدة رئيسية للقوى فى منطقة البحر المتوسط لموقعها الفريد ، حيث لا تبعد أكثر من 288 كيلومترًا عن الساحل الإفريقى . ولذلك استخدمها الفينيقيون ــ من أهل لبنان ــ ، والرومان والعرب والأسبان والفرنسيون ثم البريطانيون . مما يظهر بوضوح على لغة المحليين الذين أخذوا جانبًا من كل لغة . ثم حصلت مالطا على استقلالها عام 1964 ضمن الكومنولث البريطانى .

ولكن مالطا تعرضت خلال الحرب العالمية الثانية لأكبر محنة فى تاريخها وطوال ثلاث سنوات متصلة حتى سبتمبر 1943 . وتعرضت للحصار البحرى ، ولأكثر من ألفى غارة إيطالية وألمانية طوال هذه الفترة ، كل منها يتشكل من حوالى 200 طائرة قاذفة ومقاتلة . ولكن مالطا كانت صخرة عنيدة ، وشوكة فى جانب طريق قوافل الإمدادات لدول المحور Axis فى منتصف البحر المتوسط ، ومحطة رئيسية لغواصات ومدمرات الحلفاء وطائراتهم القاذفة

بعيدة المدى . وعاملاً مهمًا فى النصر النهائى للحرب على ألمانيا وإيطاليا ، حيث تحطمت فى أجوائها 1637 طائرة من دول المحور ، ووقفت بالمرصاد لقوافل الإمدادات للجيوش الألمانية والإيطالية فى شمال أفريقيا . لذلك كانت مالطا أكثر بقاع العالم تعرضًا للتدمير والقذف الشديد خلال الحرب العالمية الثانية .

★ ★ ★

لم تكن مثل هذه الأهمية الشديدة لمالطا تظهر بوضوح للقيادة البريطانية ، نتيجة لسوء الفهم وسوء التقدير وسوء التصرف . واعتمدت القيادة البريطانية على قاعدة الإسكندرية البحرية شرق البحر المتوسط ، وقاعدة جبل طارق فى مدخل المتوسط غربًا . وأهملوا تمامًا تجهيز وتسليح جزيرة مالطا الصغيرة فى المنتصف ، حتى للدفاع المحلى . وقد كلف هذا التقدير السئ بريطانيا الكثير بعد ذلك ، حتى أصبح الدفاع عن مالطا أهم من الدفاع عن بريطانيا ذاتها يومًا ما ، للمحافظة على حياة ملايين الجنود من دول الحلفاء فى شمال إفريقيا .

كانت الحرب العالمية الثانية قد اندلعت فى الأول من سبتمبر 1939 ، وأخذت مجراها السريع بانهيار معظم دول أوروبا بسرعة أمام قوات البانزر Panzer المدرعة الألمانية ، وانسحاب القوات البريطانية من النرويج فى إبريل 1940 ، ثم من فرنسا فى الشهر التالى . وكان من المتوقع أن تمتد الحرب إلى مناطق أخرى من

العالم ، خاصة شمال إفريقيا ، حيث يتواجد بالفعل جيش إيطالى ضخم فى ليبيا المحتلة ، بقيادة المرشال رودولفوا جرازيانى Rodolfo Graziani للزحف على الإسكندرية ودلتا مصر ، والسيطرة على قنال السويس ، لفتح الاتصال مع القوات الإيطالية فى الصومال وأثيوبيا المحتلة جنوبًا ، والسيطرة على البحر المتوسط باعتباره بحيرة رومانية كما كان قديمًا .

هذا الوضع أثار قلق الكومودور ـ عميد بحرى ـ سام ماينارد Sam Maynard ـ المسئول عن الدفاع الجوى والبحرى فى مالطا . وطلب من القيادة البريطانية تزويد الجزيرة بأربعة أسراب من المقاتلات السريعة الحديثة من طراز سبيت فاير Spit Fire ، وهاريكان Hurrican ، بما لا يقل عن 48 طائرة للدفاع عن مالطا عند نشوب الحرب . ولكن توجس القيادة البريطانية من قيام هتلر بغزو الجزر البريطانية ، جعلهم فى وضع لا يسمح لهم بإرسال أية طائرات أو معدات للدفاع عن مالطا .

ولكن ماينارد ـ النيوزيلاندى الأصل والذى اشترك فى معارك الحرب العالمية الأولى ـ أخذ يبحث عن طريقة ما للدفاع عن مالطا . وفى مارس 1940 عثر فى مخازن الترسانة البحرية على بضع صناديق كانت تحتوى على طائرات بحرية من طراز جلاديتور Gladiator .. وكانت حاملة الطائرات البريطانية جلورياس Glorious قد أفرغتها وتوجهت من هناك على عجل لمساعدة القوات البريطانية فى النرويج .

كانت هذه الطائرات البحرية ذات الجناح المزدوج ، من مخلفات الحرب العالمية الأولى . سرعتها القصوى 400 كيلومتر فى الساعة ، وهى سرعة أقل بحوالى 150 كيلومترًا فى الساعة عن المقاتلات الحديثة . كما أن نيرانها أقل بواقع النصف ، ولكن لم يكن هناك غيرها . بل إن حاملة الطائرات البريطانية إيجيل Eagle طلبت أربع طائرات من الثمانى التى عُثر عليها فى المخازن ، فلم يبق إلا أربع طائرات فقط فى الجزيرة .

عهد ماينارد إلى الضابط الطيار مايك كولينز Mick Collins ـ الذى كان يرأس ورش القاعدة ـ بتثبيت وتجميع الطائرات الأربع ، ولم يكن أحد من فريقه قد عمل شيئًا كهذا ، ولا يعرفون شيئًا عن هذا الطراز . ولكن العمل استمر فى الورش بمثل هذه الطريقة الجنونية ، والتعلم من أخطائهم أثناء تثبيت الأجنحة المزدوجة ، والعدادات والأسلاك والكوابل ، والمحرك الثقيل نفسه والذى تبلغ قوته 840 حصانًا صناعة بريستول ميركورى . وبعد يومين فقط كانوا قد أتموا العمل ، وجرى سحب الطائرات إلى مطار هال فار Hal Far لتجربتها .

كانت هناك مشكلة أخرى أمام ماينارد ، وهى البحث عن طيارين . وكان بالجزيرة حوالى 12 طيارًا مشغولون بأعمال مكتبية . ولم يكن من حقه إجبارهم على العمل ، خاصة وأنه لم يكن هناك منهم من حلق بهذا الطراز من قبل . ولكنهم تطوعوا للعمل جميعًا ،

اختار منهم ماينارد أربعة طيارين شبان ، على أن يكون الباقين مستشارين ومساعدين لهم لإنجاز العمل . كما اختار جوك مارتن Jock Martin ـ أحد قادة الأسراب الجوية القدامى ـ لرئاسة المجموعة الجوية الجديدة .

كان الطيارون يفتقدون للخبرة بالتحليق بهذه الطائرة ومعرفة إمكانياتها الفنية ، وأخذوا فى التدريب بسرعة . حيث وجدوا أنها ذات قدرات عالية على المناورية ، ويسهل التحكم فيها ، ولو أنها بطيئة ، وتسليحها ضعيف . والغريب أن البحرية البريطانية طالبت فى ذلك الوقت بسحب الطائرات الأربع ، ولكن ماينارد وقف بصلابة أمام هذا الطلب .

* * *

فى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى لإعلان موسولينى الحرب على بريطانيا ، ظهرت عشر قاذفات إيطالية من طراز سافويا مارشيتى ـ Savoia Marchetti 79 ذات المحركات المروحية الثلاثة ، فوق العاصمة فاليتا . وهرعت طائرات ثلاث من طراز جلاديتور لمقابلتها ـ باعتبار الرابعة احتياط . ولكن القاذفات الإيطالية كانت قد أتمت إلقاء قنابلها على الميناء الرئيسى ، وأخذت ترتفع فى طريقها إلى صقلية . أطلقت كل طائرة مقاتلة مدافعها الرشاشة الأربعة من طراز 303 من البوصة ، ولكنها كانت غير مؤثرة لسرعة القاذفات وابتعادها عن المكان .



تمكنت أربع طائرات فقط من التصدى للقاذفات الإيطالية طوال أكثر من أسبوعين فى بداية الحرب

واقترح مارتن ، تكتيكًا جديدًا للتصدى للغارات ، يقضى بجلوس الطيارين فى طائراتهم انتظارًا للإقلاع فورًا ، مما يوفر بضع دقائق مهمة كافية لاكتساب كل طائرة السرعة والارتفاع الضروريين للقتال . وكان هذا مؤلمًا للطيارين فى جو الجزيرة الحار ، ولكنهم وافقوا عليه . وقد عرف الإيطاليون الآن ، أن فى الجزيرة بضع مقاتلين ، ولذلك اصطحبوا معهم فى الغارات التالية سربًا من المقاتلات بعيدة المدى من طراز ماتشى ـ 200 لحماية القاذفات .

ازدادت حدة وكثافة الغارات الإيطالية من الفجر وحتى الغروب ، حتى وصل عددها إلى حوالى سبع غارات فى اليوم الواحد ، كل منها يتشكل من 150 قاذفة أو أكثر فى كل غارة . والسبب أن موسولينى يريد احتلال الجزيرة بسرعة ، والقضاء على أية مقاومة . ولأنه من الصعب إجراء عمليات إنزال ساحلية بحرية لطبيعة الجزيرة ، فقد أعد أسطولاً من طائرات النقل العسكرية للإنزال فورًا فى مطارات الجزيرة . ولا يمكن أن يحدث مثل هذا الغزو بالقوات المنقولة جوًا ، فى ظل هذه المقاومة الفريدة .

لقد حاول موسولينى قبل بداية الحرب بسنوات ، استمالة المواطنين إلى جانب إيطاليا ، بالمنح الدراسية والمساعدات والدعوات ، والتذاكر المخفضة . فلما اندلعت الحرب تجمعت الأسر البريطانية داخل الثكنات العسكرية خوفًا من أعمال المواطنين ضدهم . ولكن مثل هذه الإجراءات لم تكن ضرورية ، فعندما شاهد المواطنون جزيرتهم

تضرب بالقنابل الإيطالية ، تعاطفوا مع البريطانيين فى نسيج واحد للدفاع عن وطنهم ، فليس هناك مبرر لاستبدال مستعمر بآخر فى مثل هذه الظروف . وقام المواطنون ـ حوالى 300 ألف ـ بحفر الخنادق والأنفاق والملاجئ وتركيب المدافع وتشغيل الموانى وإقامة المهابط الجديدة ، كل ذلك وغيره كثير فى صخر الجزيرة الصلد .

استمرت المعارك الجوية بهذا الشكل الجنونى طوال 17 يومًا ، لم يذق طيارو الجلاديتور الراحة طوال اليوم . ولم يكن أحد منهم يهبط إلى الأرض إلا للتزود بالوقود أو الذخيرة أو إجراء بعض الإصلاحات السريعة . وسقط بعض الأسرى من الطيارين الإيطاليين ، الذين لم يكن يسرهم أن تسقط طائراتهم الحديثة ، بمثل هذه المقاتلات القديمة ، كما ظهر ذلك على وجوههم . والحق أن هذه الطائرات البطيئة قد أعطتِ الأمل لأهل مالطا وللحامية البريطانية فى الجزيرة . وكان الجميع يعملون فى حماس شديد للدفاع عن وطنهم بأى حال ، خاصة رجال الورش الذين تفننوا فى استبدال محركات المقاتلات بأخرى من طراز مختلف فى المخازن . بل وأضافوا ريشة ثالثة لمروحة المحرك لزيادة السرعة ، وتركيب مدافع جديدة من عيار أكبر ، كل ذلك جرى فى ظروف المعركة الحامية .

حدث أن هبطت فى الجزيرة أربع طائرات مقاتلة من طراز هاريكان يوم 28 يونيو 1940 ، فى طريقها من بريطانيا إلى القاهرة . ولكن ماينارد أقنع القيادة البريطانية باستبقائها فى الجزيرة ، وكان هذا أول دعم حقيقى للدفاع عن مالطا . وعندما انتهت معركة بريطانيا

فى أكتوبر 1940 ، وانحسار الغارات الجوية الألمانية على المدن البريطانية ، جرى دعم دفاعات مالطا بأسراب من القاذفات والمقاتلات من كل نوع . كما جرى تركيب عشرات المدافع القوية المضادة للطائرات والمدافع الساحلية بعيدة المدى ، حتى أصبحت مالطا بالفعل قلعة مسلحة لا يمكن اختراقها .

ولكن مسار الحرب فى شمال إفريقيا ، كان له تأثير مباشر على مالطا ، فحينما بدأ الجيش الإيطالى فى ليبيا بغزو مصر من 13 سبتمبر 1940 ، ازداد كثافة الغارات فوق مالطا . وعندما استطاع الجنرال ويفيل Wavell ـ قائد الجيش الثامن البريطانى فى مصر ـ دفع الجيش الإيطالى ، وساقه إلى داخل الحدود الليبية قرب بنى غازى من ديسمبر 1940 وحتى فبراير 1941 ، خفت حدة الغارات على مالطا . ولكن عندما وصل الفيلد مارشال إرفين روميل Rommel الألمانى إلى شمال أفريقيا لقيادة الفيلق الإفريقى ـ من القوات الألمانية والإيطالية فى مارس 1941 ، انقلب النصر البريطانى إلى هزائم متوالية حتى العلمين ، وزادت بالتالى حدة الغارات على مالطا .

كانت المشكلة الأولى التى تواجه القيادة البريطانية ، هو تزويد مالطا بالإمدادات والتموين والذخيرة والمدافع وقطع الغيار ، حيث كانت معرضة طوال الوقت لحصار بحرى دائم من قبل الغواصات والمدمرات الإيطالية والألمانية . وكانت قوافل الإمداد البحرية من الإسكندرية ، تتعرض للغارات الجوية الألمانية من جزيرة كريت واليونان طوال الطريق . نفس الشىء حدث للعديد من القوافل

الآتية من الغرب وجبل طارق ، عشرات السفن غرقت بمن فيها وبما تحمله ، وكان وصول إحداها يعد معجزة خاصة سفن الوقود « التانكرز » . بل كان القيام بعملية إنقاذ لطيار سقط بمظلته فى البحر ـ من الجانبين ـ مخاطرة مميتة حول الجزيرة .

سقط المئات من الجنود والمدنيين فى الدفاع عن الجزيرة طوال ثلاث سنوات وحتى سبتمبر 1943 ، حينما تحول مسار الحرب . ولكن يبقى قبل ذلك أن هؤلاء الطيارين خاطروا بحياتهم تماماً للدفاع عن الجزيرة فى الأيام الأولى . وواجهوا دفعات متتالية من القاذفات والمقاتلات الإيطالية بشجاعة فائقة . ولولاهم لسقطت الجزيرة تحت الاحتلال الإيطالى بقوات كثيفة معدة سلفاً .

الغريب فى الأمر ، أن هؤلاء الطيارين ـ والمجموعة الأخرى التى كانت تساعدهم ـ لم يحدث لهم شىء . وقلدوا جميعاً بأرفع أوسمة الشجاعة من الملك جورج الخامس .

وتحتفل مالطا بذكرى هذه المعركة الأسطورية فى يونيو من كل عام ، كما تحتفظ بإحدى طائرات الجلاديتور فى متحف فاليتا حتى الآن لتذكرهم بتلك الأيام الصعبة . وهى الطائرة التى كان يقودها الطيار بورجيس ، وأطلق عليها المواطنون اسم الإيمان Faith .

بتصرف مختصر عن كتاب :

The Air Battle For Malta, By Lord James Hamilton, Published by Main stream publishing Ltd, 1982, Edinburgh, England.

12 ـ كرس جهوده لخدمة المهاجرين ..

[بقلم : روبرت ليتيل]

كان ذلك فى المراحل النهائية للحرب العالمية الثانية فى إيطاليا ، حينما نزلت قوات الحلفاء فى جزيرة صقلية Sicily فى أقصى الجنوب فى 9 يوليو 1943 ، ومنها أخذت تتحرك نحو الشمال داخل الأراضى الإيطالية نفسها . مما دعى البرلمان الإيطالى إلى سحب الثقة من دكتاتور إيطاليا بنيتو موسولينى Benito Mussolini ـ زعيم الحزب الفاشيستى الإيطالى Fascist ـ حيث سقطت وزارته ، ثم اعتقل بعد ذلك فى إحدى القلاع ولكن وحدة ألمانية استطاعت تحريره .

توجه موسولينى نحو مدينة سالو Salo فى الشمال وشكل جيشًا وحكومة جديدة ، بينما أعلن الملك فيكتور إيمانويل Victor Emmanuel استسلام إيطاليا فى التاسع من سبتمبر 1943 وشكل حكومة شرعية جديدة فى الجنوب . ورغم هذا الإعلان الرسمى ، فقد استمرت المعارك الحربية بعنفوانها طوال سنة أخرى ، لوجود القوات الألمانية بكثافة على الأرض الإيطالية ، حيث كانت إيطاليا عضوًا فى محور الحرب Axis مع ألمانيا واليابان . ودارت المعارك الشرسة فى كل مكان مع الغارات الجوية الضيقة على كافة المدن الإيطالية طوال الوقت . وكان الجيشان الخامس والسابع الأمريكيين يندفعان

من الجنوب نحو الشمال ، على طول الساحل الغربى الإيطالى المطل على البحر التيرانى Tyrrhenian Sea . بينما كان الجيش الثامن البريطانى والفرقة الأولى البريطانية المحمولة جوًا Airborn ، مع الفيلق الأول الكندى يزحفون بسرعة نحو الشمال على طول الساحل الشرقى الإيطالى المطل على بحر الأدرياتيكى Adriatic Sea . ورغم هذه القوات الكثيفة فإنها لم تصل إلى أقصى الشمال الإيطالى ، وتحرر البلاد من القوات الألمانية إلا فى الأول من سبتمبر 1944 .

★ ★ ★

فى ذلك الوقت الحرج ، عانى الشعب الإيطالى كثيرًا ، فقد انحل الجيش الإيطالى بعد الاستسلام ، وأفرج الحلفاء عن آلاف الأسرى وعادوا إلى بلادهم . ولكن القوات الألمانية اعتقلت أيضًا آلاف الجنود الإيطاليين الذين رفضوا القتال فى جانبهم ، وأرسلوهم إلى معسكرات الاعتقال فى ألمانيا . وكانت هناك حكومتان إيطاليتان عاجزتان تمامًا عن تقديم أى عون للشعب المطحون ، كما كانت الجيوش الأجنبية تتصارع على الأراضى الإيطالية بضراوة ، وتدك المدن والقرى دكًا ، ولا يعنيها على الإطلاق سلامة المدنيين وتوقف الحياة فى المزارع والمصانع وغيرها من ضروريات الحياة .

فى هذا الوقت بالذات ، تملكت ماريو تيراباسى Mario Tirabassi رؤيا غريبة غيرت مصيره تمامًا . كان ماريو من الطبقة الأرستقراطية ، الذى يمتلك والده مزارعًا شاسعة للكروم فى مقاطعة أبروزى

Abruzzi الجبلية شرق روما العاصمة . كان شابًا وسيمًا محبوبًا من الجميع لروحه المرحة وصدقه وشفافيته ، وقد عينته الحكومة الشرعية الجديدة ـ التابعة للملك ـ موظفًا بها بعد تسريحه كضابط فى الجيش الإيطالى عقب إعلان الاستسلام . ولكن لم يمض شهران حتى استقال ماريو من منصبه الحكومى ، حيث قدرٌ أن مثل هذا العمل الروتينى بمثابة مقبرة لمواهبه وذكائه وقدرته على التقدم والانطلاق .

كانت هناك أعداد غفيرة من المهاجرين الذين فقدوا كل شىء تتدفق على روما ، وقد غُصت المستشفيات بالجرحى من كل المناطق ، خاصة من كاسينو Cassino جنوب روما ، والتى شهدت معارك حامية طوال أشهر . واقتنع ماريو بأن العمل فى أحد المستشفيات الكبرى فى العاصمة كمتطوع لفترة حتى انتهاء المعارك ، ربما يوفر خدمة لأهل وطنه .

فى إحدى الليالى الباردة ، انحنى ماريو عند إحدى النوافذ ليلتقط حصته من الهواء النقى ، حينما سمع أنينًا ينبعث عن بعد فى الظلام الدامس . وهرع مسرعًا إلى مصدر الأنين ، فعثر على رجل كبير فى السن ، يرتدى ملابسًا غير كافية لمقاومة البرد . حيث تمتم ببضع كلمات قليلة ، عرف منها ماريو أنه قد سار طوال الأيام الماضية من كاسينو بعد مقتل كل أسرته فى غارة جوية أمريكية . فحمله ماريو على ظهره إلى المستشفى .

يقول ماريو ، أنه أثناء نقله للرجل المسكين إلى المستشفى ، وفى الطريق ظهر له فجأة شىء ساطع ، وشاهد ملامح سيدة نقية جميلة فى رداء أبيض . طلبت منه ألا يشعر بأى خوف ، لأن الاختيار وقع عليه لمساعدة من لا أصدقاء لهم ، ومن فقدوا مساكنهم ، ومن لا مأوى لهم ، ومن اجتثت أصولهم فلم يبق لهم أهل يشملونهم برعايتهم . فلمثل هذا العمل يجب أن يكرس حياته ، ولذلك ترك العمل فى المستشفى .

كان ماريو فى أواخر العشرين من عمره حينما ظهرت له هذه الرؤيا Vision ، ولمدة 13 سنة بعد ذلك ، استمر بلا كلل يتلمس طريقه كل ليلة فى أحياء روما ، وهو يحمل حزمًا وربطات من الملابس والخبز والأطعمة والأحذية والجوارب والأغطية ، إلى الضائعين من البشر الذى لا يعنى أحد بالالتفات إليهم . والحق أن قليلاً من الناس لا يختارون أعمالهم وأفعالهم من أجل ما تتضمنه من ثمرات أو جزاءات ، بل يختارونه على أساس ميولهم ومهاراتهم وتكوينهم الشخصى . وكان ذلك صحيحًا بالنسبة لماريو ، الذى كان يتحمس للعمل الشاق ، ولكنه كان يعمل لحسابه وليس لحساب الحكومة ، أو بالأصح لحساب العناية الإلهية . وكان ماريو جديرًا بذلك حقًا ، فقد كان يتحلى بأخلاق النبلاء ، يُعطى بغير مقابل ، ويخدم دون أجر . وهذه هى أرستقراطية النفس النبيلة والقلب الكبير .

ومع الأيام ، توسعت جهوده كى تشمل إيجاد عمل لمن يقدرون عليه ، أو ادخال آخرين يحتاجون إلى العناية الطبية إلى المستشفيات . أو توفير تذاكر سفر لرحلة عودة البعض إلى قراهم ، أو استخراج أوراق رسمية لمن فقدوها ، أو إيجاد مأوى من الأمطار والثلوج ، بل وحتى ضمان البعض الآخر لمن اعتقلهم البوليس لعدم وجود أوراق تثبت شخصياتهم ، أو بتهمة التسول ممن ليس لهم محل إقامة دائم .

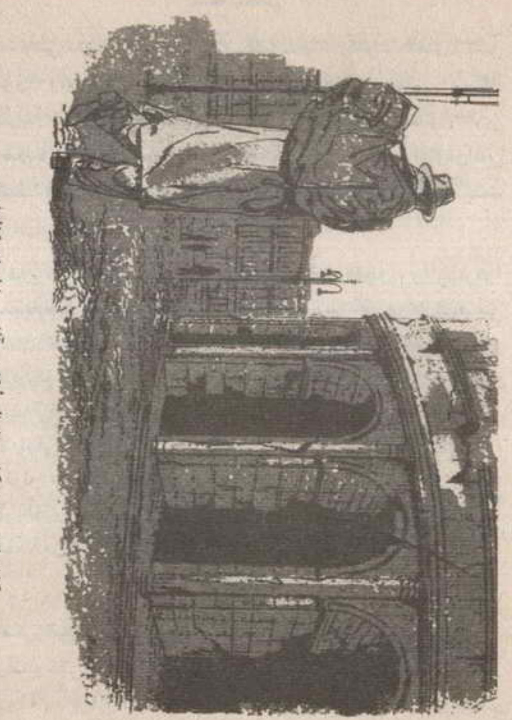
لم يكن ماريو ينتمى إلى أية جماعة دينية أو جمعية اجتماعية ، ولكن المهمة التى كان يؤديها وحده ، قد نبعت من ذاته . صحيح أنه كان دائمًا يشعر بالعطف على الفقراء ، ولكن العطف والشفقة لا يطعمان خبزًا ، ولا يساعد إنسانًا على الوقوف مرة أخرى ليستكمل مسيرته . فضلاً على أنه من المؤلم حقًا أن يكون المرء موضع إشفاق الآخرين ، وليس احترامهم . لذلك حرص ماريو على احترام كل من يقابله ، وأن يقدم مساعداته على أنها قرض بسيط ، وعلى الآخرين أن يردوه يومًا لمن يستحق من حولهم ، فالحياة معادلة بسيطة تعطى بقدر ما تأخذ . كما حرص على المودة والبشاشة ودفع الأمل إلى نفوسهم .

وعند انتهاء الحرب فى سبتمبر 1944 فى الجبهة الإيطالية ، كان عليه أيضًا أن يتابع مهمته . فالبعض كان يحصل على معاش ضئيل

يكاد يكفى للإبقاء على حياتهم ، ولكنه لا يكاد يكفى للحصول على مأوى . ولم يجدوا غير الخرائب والأطلال Ruins ، وحتى الأماكن الأثرية الكثيرة ملجأ لهم . أغلبهم لا يستطيعون الحصول على أعمال دائمة ، لأنهم فقدوا أوراقهم الشخصية . فحتى البؤس فى عالمنا البيروقراطى يحتاج إلى أوراق ، والدفن فى قبر تحت الأرض يستلزم الأموال .

كان على هؤلاء التعساء أن يصحوا قبل الفجر ، وأن يتركوا أماكنهم قبل وصول فرق البوليس . ليهيموا على وجوههم فى أركان المدينة طوال النهار ، ثم يعودون بعد الغروب إلى ملاجئهم . ففى الصباح تتدفق أفواج السياح من كل صوب ، لالتقاط الصور التذكارية ، بجانب الآثار الرومانية العريقة .. ولا ينبغى لهم أن يشاهدوا أى مظهر من مظاهر الفاقة والضنك ، قد تؤثر على إحساسهم بثراء تلك الحضارة وعظمتها. ولا أحد يجروء على اخبارهم أن هذه التماثيل والآثار القديمة ، تحتضن عشرات المئات من التعساء ليلاً ، حيث لا يستطيع أحد القبض عليهم .

وكان ماريو يبدأ جولته دائمًا قرب منتصف الليل ، قاصدًا تلك الأماكن البعيدة فى تلال روما السبعة . وتعرض للإيقاف والاستجواب مرات ، حتى عرفه رجال البوليس فى كافة المناطق «بالرجل ذو الربطة» ، وبالإيطالية L'uomo del sacco . ولكنه لم يكن يحمل ربطة أو حزمة واحدة كما كان فى البداية ، بل كان يحمل أحيانًا



كان ماريو يخرج كل مساء إلى أنقاض وآثار روما لمساعدة المهاجرين

ثلاث أو أربع ربطات Packs أو أكثر كل ليلة . كانت بالفعل تجربة مؤلمة ، ولكن التجربة هى الشىء الذى يبقى لك فى النهاية بعد أن يضيع كل شىء . ولم يكن ماريو ليستطيع أن يتوقف ، فعليه التزام يجب أن يؤديه ، ولم يندم ماريو أبدًا على تلك الليالى الصعبة . وتعلم فيها الكثير عن حكمة الخلق ودورنا فى الحياة .

* * *

انضم إليه أربعة آخرون ، رغم إنه ليس هناك ثمة عدوى فى سمو النفس . فالأفكار العظيمة ، والأخلاق الرفيعة ، والمشاعر النبيلة منزلة فى صميم وجودها . كان أحدهم طالبًا جامعيًا ، والثانى من الأسرة المالكة الإيطالية ، والثالث رجل أعمال فى روما ، والرابع أدميرال متقاعد ـ فريق بحرى . كانوا يحملون حزمهم الخاصة Bundles ، ويجوبون خلف ماريو . لم يكونوا يعرفون شيئًا عن مدينتهم ، وأدركوا أن هناك عالمًا خفيًا لم يتوقعوا وجوده ، وارتادوا أماكن لم يشاهدوها من قبل ، وعرفوا أشياء لم تخطر لهم على بال . وبعد فترة قليلة انفصلوا عن بعضهم البعض ، وأخذ كل منهم يرتاد المناطق التى يختارها بنفسه كل ليلة . فقد كان أكثر همهم أن يدفعوا البسمة إلى شفاة الآخرين ، وأن يخففوا عنهم فاقتهم وضنكهم ، ويساعدونهم بقدر الإمكان على الوقوف وبدء حياة كريمة جديدة .

ولسنوات متتابعة كان ماريو يتحمل نفقات ربطاته من دخله الذى

كان يأتيه من عائلته الغنية . ولكن مع مرور الوقت عرفه الآخرون ، وأخذت « الأشياء » من كل نوع تنهال عليه كل يوم . ويقول ماريو أنه أبدًا لم يطلب شيئًا من أى شخص ، ولكنه كان يجد هذه « الأشياء » أمام باب منزله . أو يستوقفه أحدهم فى الطريق ويعطيه نقودًا ثم يختفى دون حتى ذكر اسمه . وأصبح الجميع يساعدونه فى إيجاد عمل لهؤلاء التعساء أو مأوى أو علاج ، أو استخراج أوراق رسمية ، أو حتى عقد قران لبعضهم فى إحدى الكنائس . وذاعت أعماله الجليلة فى كل مكان ، حتى أن بابا الكنيسة الكاثوليكية فى روما ، منحه سيارة حتى تنير طريق جولاته فى منتصف الليل .

كان هؤلاء التعساء متفائلين للغاية ، فالذى أعطى بالأمس واليوم ، سوف يعطى غدًا . وهم لا يشكون أبدًا ، فالشكوى عند هؤلاء الذين يحترمون أنفسهم فى كبرياء ، عمل لا يتسم بالنضج . وكل ما يأملون فيه هو إتاحة فرصة طيبة للبدء من جديد . ولكن الأشياء الطيبة لا تحدث لنا لأننا نستحقها ، ولكنها تحدث فقط عندما نجعلها نحن تحدث . والشىء الغريب الذى لاحظه ماريو أنهم يتحلون بالإيمان والصدق والأمانة ، فقد عثر أحدهم على حوالى 30 ألف ليرة إيطالية فى جيب معطف ، فأعادها إلى ماريو قائلاً له إن الآخرين ربما كانوا فى حاجة إليها أكثر منه . وكانوا يعبرون عن شكرهم لماريو بكلمات متعثرة صادقة دون بلاغة منمقة ، والعرفان بالجميل مثل الحب الصادق ، لا فائدة له إلا إذا أظهرته ، وكان هذا هو جزاء ماريو الذى يعتز به . ففى عالم الله ، لا توجد شجرة تحمل الثمار لصالحها الخاص ، فكل شىء يعطى نفسه للغير .

اضطر ماريو تيراباسى إلى وقف أعماله فى روما 1956 عند وفاة والده ، للإشراف على الأراضى والمزارع الخاصة بالعائلة فى إقليم أبروزى . خاصة بعد تزايد الجمعيات التى أُنشئت لمساعدة هؤلاء التعساء ، وكذلك تخصيص الحكومة الإيطالية جانبًا من المساعدات الأمريكية ضمن قانون الإعارة والتأجير ، لتأهيل ومساعدة المهجرين والمشردين على بدء حياة كريمة جديدة ، فهؤلاء هم جذور إيطاليا . وما زال الناس يعيشون ، ولكن ما مات بداخلهم لن يستطيع أحد أن يعيده مرة أخرى .



بتصريف مختصر عن المصدر :

Bunte Magazine, by Robert Littell, Dated June 1988, Arabellastrasse, 23,8 1925 Munchen, Germany.

13 ـ حاول مساعدة صديقه الذى وقف بجانبه..

[بقلم : سيدنى شانبيرج]

أوفدت مجلة نيويورك تايمز أحد أبرز صحفييها لتغطية الحرب الجارية بين الحكومة الكمبودية ، وقوات الخُمير الحمر Khomer Rouge المنشقة ، وهو كاتب هذا المقال من محن غريبة . وقد أصدر كتابًا بعد ذلك ضمن معظم التحقيقات الصحفية التى نشرت حول الموضوع . مما أهله للفوز بجائزة بوليتزر الأدبية عام 1976 ، لتغطيته أحداث كمبوديا Cambodia .

وصل سيدنى إلى مطار العاصمة فنوم بنه Phnom penh فى سبتمبر 1972 ، حيث استقبله فى المطار ديث بران الكمبودى ، والذى سبق له أن عمل مترجمًا لمدير مكتب الصحيفة فى سايجون ـ فيتنام ـ أثناء زياراته إلى كمبوديا . إذ أن بران يجيد اللغتين الإنجليزية والفرنسية بجانب لغته الوطنية .

كان بران لديه أيضًا حاسة صحفية مثيرة ، ومطلع على الكثير من المعلومات المهمة ، ولذلك كان لديه مجموعة من المقترحات كى يبدأ سيدنى مهمته . وقد وثق به سيدنى لآرائه الصريحة وتقارب أفكارهما . وقد عمل بران كمترجم أمين للأحاديث الصحفية التى أجراها سيدنى مع رئيس الوزراء « آن تام » وغيره من كبار

الشخصيات مما كان يثير حفيظة سيدنى . فقد كانت الترجمة حرفية تمامًا ، بينما كان سيدنى يبحث عن النوايا وراء الكلمات . وأخيرًا قال له بران ، إنه لا يستطيع أن يعطيه الحقيقة كاملة ، أو حتى رأيه هو فى الأحداث . وكل ما لديه هو 80 فى المائة منها ، أما الباقى فيحتفظ بها لنفسه .

استمرت عجلة الحرب فى دورانها ، ثم حدث اختلاط شديد فى الصورة العامة ، إذ بدأت السفارة الأمريكية فى فنون بنه فى إخلاء موظفيها وإحراق وثائقها صباح يوم 12 أبريل 1975 . وتبين لسيدنى أن الموظفين شرعوا فى الرحيل فعلاً منذ السابعة صباحًا بطريقة مفاجئة . ولم يكن أمام سيدنى أو بران سوى أقل من ثلاث ساعات للبت فى رحيلهم أو بقائهم . وقرر الاثنان البقاء لمتابعة الأحداث التالية ، وأمكن ترحيل أسرة بران فى اللحظات الأخيرة من إقلاع آخر الطائرات الهليكوبتر التابعة للسفارة .

قضى الاثنان الأيام الخمسة التالية يطوفون بالمدينة ، وأصبح واضحًا أنها على وشك السقوط فى أيدى قوات الخمير الحمر . وتدافع آلاف المهاجرين فى اضطراب بالغ لترك العاصمة نحو القرى والحقول خوفًا من المذابح وعمليات الانتقام . وفى تلك اللحظات العصيبة انضم إليهم صحفى بريطانى ومصور صحفى أمريكى مستقل ويعمل لحسابه الخاص . واستقل الجميع سيارة إلى أكبر المستشفيات المدينة لتكوين فكرة عن الخسائر .

فى ساحة المستشفى، كان هناك بعض جنود الخمير الحمر برشاشاتهم، حيث طلبوا منهم الخروج من السيارة ورفع أياديهم. كان الخوف باديًا على قسمات وجه بران، وطلب من الجميع فى همس أن يفعلوا كل ما يُطلب منهم. واستجمع بران شجاعته وأخذ يناشدهم بلغتهم، ولكنهم تجاهلوه وأخذوا الآخرين بما فيهم السائق الكمبودى، إلى حاملة جنود مصفحة. صعد الجميع إلى المصفحة، بينما واصل بران مناشداته فى الخارج، وكانوا فى الواقع يريدون الكبار فقط ولا يريدونه. ولكنه أخذ يرجوهم ألا يفصلوا بينهم. فلقد كانت فرصة نجاتهم فى غيابه معدومة تمامًا، فكأنه يقدم حياته ثمنًا لإنقاذ رفاقه.

توقفت المصفحة فى معسكر خارج العاصمة، وأنزلوهم والبنادق مصوبة إليهم. ومرة أخرى أخذ بران يتضرع إليهم للإبقاء على الصحفيين، وبعد ساعة أرسل الضابط جنديًا إلى مقر القيادة، وكان هذا هو الأمل الأخير. ثم جاءت المعجزة وأطلق سراحهم.

أخذوا متاعهم من الفندق المهجور، وتوجهوا إلى السفارة الفرنسية. كانت الأبواب موصدة وعشرات اللاجئين يتدافعون من فوق الأسوار، وهكذا فعلوا مثلهم. وكان لدى الصحفى البريطانى جوازى سفر، فحاولوا وضع صورة بران عليه باعتبار أنه أجنبى. ولكن الفرنسيين أبلغوهم أن مثل هذا الأمر خطر للغاية على حياة الجميع لو اكتشف، وأصروا على ضرورة مغادرة بران للسفارة. ولم يكن أمام سيدنى والآخرين أن يفعلوا شيئًا، ولقد فهم بران الموقف وغادر السفارة بعد وداع قصير.

★ ★ ★

رحل جميع من كان من السفارة الفرنسية إلى تايلاند، ومنها عاد سيدنى إلى الولايات المتحدة. وزار عائلة بران وأولاده فى سان فرانسيسكو على الساحل الغربى، بعد أن استقرت بمساعدة وكالات غوث اللاجئين. وصدمت زوجته لعدم حضور بران معه، ولكن سيدنى أخذ يبث فيها الأمل والتمسك بالإيمان. فضلاً على أن بران لديه من الشجاعة والذكاء ما يمكنه من تجنب الأخطار.

طوال السنوات التالية، أخذ سيدنى يتلمس الأخبار من الهاربين من جحيم كمبوديا، وما بها من مذابح ومجاعات. ولم يكن هناك ما يشير إلى أى خير فيما يحدث، فكمبوديا مغلقة فى وجه العالم الخارجى، فلا حكومة ولا تليفون ولا إمكانية على الإطلاق فى دخول البلاد بطريقة شرعية.

لاح أول شعاع من الأمل فى فبراير 1976، حينما وصلت رسالة إلى سيدنى من صديق يعمل فى إحدى وكالات غوث اللاجئين فى تايلاند، بأن بران قد شوهد منذ أشهر فى إقليم سيام ـ ريب الشمالى، وهو مسقط رأس بران ومقصده عند مغادرته السفارة الفرنسية. وكان سيدنى قد اتصل بعشرات الوكالات الدولية للغوث والصليب الأحمر، ووزع عشرات الصور لبران، بل وعرض مكافأة لمن يعثر على بران ويخرجه من كامبوديا.

ولكن المعجزة بدأت تفاعلاتها فى صباح أحد الأيام من شهر أبريل 1979، حينما اتصل مدير مكتب نيويورك تايمز فى باريس،

وأبلغ سيدنى أن صحفيًا ألمانيًا عاد لتوه من كمبوديا ، وأنه قابل بران هناك والتقط له صورة ، ويبلغه أنه ما زال حيًا فى أدغال شمال كمبوديا . ولكن لا يعنى البقاء يومًا على قيد الحياة فى ظروف كمبوديا ، البقاء أيضًا ليوم آخر . واتصل سيدنى تليفونيًا بالصحفى الألمانى ، للمزيد من التفاصيل ، ثم أرسل إليه الصورة التى التقطها لبران .

* * *

عندما غادر بران السفارة الفرنسية فى العاصمة فنوم بنه ، تنكر فى زى سائق سيارة تاكسى . وفى هذا الزى ، تمكن من الحصول على تصريح مرور للسفر شمالاً إلى قرية دام ديك ، التى تبعد حوالى 30 كيلو مترًا شرق سيام – ريب Siam - Rep . كانت المجاعة تنتشر فى أنحاء الريف الكمبودى ، حتى اضطر القرويون إلى تناول لحاء الأشجار .

انضم بران إلى مجموعة عاملة فى حقول الأرز فى القرية لمدة سنتين حتى عام 1977 . كان العمل شاقًا يبدأ من الفجر وحتى السادسة مساءً ، مع ساعات إضافية فى مواسم الحصاد . وفى أواخر عام 1977 انتقل بران إلى قرية أخرى ، بعدما عرف أن بعض القرويين المتعصبين أصبحوا يشكون فى أمره . وتحسنت ظروفه قليلاً . رغم نظام العمل القاسى ، حيث اختاره رئيس المزرعة الجماعية خادمًا له .

وفى ديسمبر 1978 ، عرف بران أن القوات الفيتنامية بدأت فى اجتياح كمبوديا من الجنوب ، حيث دخلوا العاصمة فى السابع من يناير 1979 . ثم أخذت القوات الفيتنامية تدمر كل شىء أقامه نظام الخُمير الحمر فى البلاد ، ثم زحفت هذه القوات نحو الشمال خلال أيام ، وهربت فلول قوات الخمير الحمر إلى غابات وأحراش لاوس وتايلاند فى الشمال .

ولما كا بران يعتقد أن الفيتناميين لا يقتلون المدنيين ، وأنهم سيسمحون بعودة الناس إلى قراهم ، فقد سار نحو سيام – ريب للبحث عن أهله ، ولكنه لم يجد سوى أمه وإحدى شقيقاته على قيد الحياة . واستمع بران إلى سلسلة من القصص الرهيبة عن عمليات الإبادة التى كان يمارسها الخمير الحمر بعيدًا عن أعين القرويين . إذ كانوا يصطحبون البعض بين الحين داخل الغابات ، ويقتلونهم بالعصى الغليظة توفيرًا لطلقات الرصاص ، ثم يبررون الحوادث بسهولة .

أخذ الفيتناميون ينظمون إدارة البلاد ، ولما كانوا يبحثون عن إداريين محليين ، فقد كان التعليم الذى حصل عليه بران فى صالحه . حيث عينوه رئيسًا لسيام – ريب التى تضم نحو عشرة آلاف نسمة . ولكن بران لم يكف عن التفكير فى الهرب ، عندما تواتيه الفرصة .

جاءت الفرصة فى شهر أبريل 1979 ، عندما طلب منه الفيتناميون تشكيل لجنة من 50 قرويًا لاستقبال بعض الصحفيين الأوروبيين . وكان بران يخشى الكشف عن علاقته بالصحافة الأمريكية ، ولكن عندما ابتعد أحد الصحفيين الألمان عن الوفد لالتقاط بعض الصور قرر المخاطرة ، وكلفه بالاتصال بسيدنى فى نيويورك .

وعلى أية حال ، فقد اكتشف الفيتناميون بعد ستة أشهر أن بران كانت له صلة ببعض الصحفيين الأمريكيين ، فأجبروه على الاستقالة . تملك الخوف بران مما قد يحدث له فى مستقبل الأيام ، وقد أصبحت حياته فى خطر ، وأخذ يفكر فى الهرب خارج البلاد إلى تايلاند فى الشمال . وبالفعل انطلق ليلاً نحو الشمال الغربى ، وبعد أيام وصل إلى قرية على بعد 65 كيلومترًا وتتاخم الحدود مع تايلاند . وكانت هناك فرق مسلحة من المقاومة ، تساعد الأهالى على الهرب . وانطلق بران نحو الحدود ، ولكن كان عليه الانتظار فى الأحراش لثلاثة أسابيع أخرى لتدبير خطة مناسبة . ثم عبر الحدود ووصل إلى أحد معسكرات اللاجئين على بعد 25 كيلومترًا .

أخذ بران يبحث عن مندوب لإحدى الوكالات الأمريكية ، وأخبره بقصته . حيث طلب منه الاتصال بمدير مكتب نيويورك تايمز فى



تمكن بران من الهرب من جحيم كامبوديا إلى تايلاند

العاصمة التايلاندية بانكوك Bangkok . وعلى الفور اتصل مدير المكتب بسيدنى فى نيويورك وأعلمه أن بران فى معسكر للاجئين داخل تايلاند فى منطقة سورين الحدودية . وأنه يبذل جهودًا فى السفارة الأمريكية لترتيب دخوله إلى الولايات المتحدة . وبالتالى اتصل سيدنى بزوجة بران المقيمة فى سان فرانسيسكو مع أولادها ، حيث حصلت على عمل فى أحد البنوك ، وأبلغها الخبر السعيد .

استقل سيدنى أول طائرة متجهة إلى تايلاند فى منتصف أكتوبر 1979 ، ثم أخذ يبحث عن بران فى معسكرات اللاجئين العديدة قرب الحدود ، إلى أن عثر عليه . وكان لقاءً مختلطًا بالفرح والدموع والأمل فى حياة جديدة حرة . كان بران يعانى من الضعف الشديد لسوء التغذية على مدار سنوات أربع ، وكانت قدميه مثخنة بالجروح وتفككت أسنانه ، ولكن كل هذه الآلام سوف تنتهى الآن .

جرى تجهيز أوراق رسمية أمريكية كلاجئ ، وسافر بصحبة سيدنى إلى الولايات المتحدة ، والتئم شمل الأسرة مرة أخرى فى لقاء مؤثر . وأخذ الصديقان يتبادلان الحديث الصاخب ، عن أحداث أكثر من أربع سنوات مضت منذ أن افترقا عند السفارة الفرنسية . وذكره سيدنى مستفسرًا عن ذكر الحقيقة كلها ، وهل ما زال مصرًا على نسبته . ولكن بران أكد له أنه لم يعد بينهما أسرار بعد كل ما جرى .

بعد أشهر قليلة من العلاج والراحة ، انتقلت الأسرة إلى نيويورك ، حيث عمل ديث بران كمصور صحفى فى نيويورك تايمز حتى الآن ، بينما حصلت زوجته على عمل مكتبى فى إحدى الشركات الكبرى فى المدينة .



بتصرف مختصر عن المصدر :

New York Times Magzine, by Sydney Schanberg, dated Jan. 1980.
229 West At 43 Street. New York, N.Y, 10036, U.A.S.

14 ـ أنقذ زميلاً تحت نيران المدافع ..

[بقلم : ريتشارد أرمسترونج]

حدث ذلك خلال حرب فيتنام Vietnam War التى بدأت عام 1950 ، وانتهت عام 1975 بانسحاب القوات الفرنسية ثم الأمريكية من بعد . وقبل الخوض فى الأحداث ، لابد من أخذ فكرة سريعة عن هذه الحرب ، التى لم يعد يتذكرها أحد حتى الذين عاصروها . كانت بين طرفين ، فيتنام الجنوبية وقوات الحلفاء فى جانب ، ضد فيتنام الشمالية وجبهة التحرير الوطنية التى تعرف باسم فييت كونج Viet Cong . التى كان هدفها توحيد فيتنام فى دولة واحدة تحت نظام واحد ، وإجلاء جميع القوات الأجنبية من البلاد ، بل وجنوب شرق آسيا لنشر النظام الشيوعى .

بدأ التورط الأمريكى فى المنطقة ، عندما أرسل الرئيس هارى ترومان علم 1950 حوالى 35 خبيراً عسكريًا . لمساعدة القوات الفرنسية التى كانت فيتنام مستعمرة تابعة لفرنسا منذ عام 1887 ، ولكن القوات الفرنسية منيت بهزيمة شاملة فى معركة ديان ـ بيان ـ فو Dien-Bien-phu شمال غرب فيتنام فى الخامس من مايو 1954 ، أمام قوات الفييت كونج بقيادة هو ـ شى ـ منه Ho-chi-minh ، الذى بدأ النضال لاستقلال البلاد عام 1946 . وبناءً على اتفاق جنيف فى نفس العام ، قُسمت البلاد إلى قسمين ، وبعد انسحاب القوات الفرنسية تمامًا ، بدأ الأمريكيون يزيدون من مساعدتهم ووجودهم العسكرى فى القسم الجنوبى لمنع زحف الشيوعيين من الشمال .

وفى عام 1964 قامت زوارق الطوربيد لفيتنام الشمالية ، بضرب المدمرات التى كانت فى حراسة حاملة طائرات أمريكية فى خليج تونكين الشمالى Tonkin . فأمر الرئيس ليندون جونسون بالقيام بغارات جوية ، وفى العام التالى وصل عدد القوات الأمريكية إلى 184 ألف جندى فى فيتنام الجنوبية ، ومع ذلك تدفق المزيد من قوات الفييت كونج نحو الجنوب لقتالهم ، وأخذوا يهاجمون سايجون Saigon عاصمة الجنوب . فقام الأمريكيون بضرب هانوى Hanoi عاصمة الشمال ، وازداد القتال شراسة ، حتى وصل عدد القوات الأمريكية إلى 525 ألف جندى عام 1968 . وامتد القتال إلى الدول المجاورة على طول الحدود الغربية لفيتنام ، وهى لاوس فى الشمال ، وكامبوديا فى الجنوب ، وأيضًا تايلاند . وفشلت كل محادثات السلام ، وكل المبادرات الأمريكية لوقف القتال ، إذ أصر الفيتناميون الشماليون على مناقشة بند واحد فقط ، هو انسحاب القوات الأمريكية وتوحيد البلاد . وكانوا ينسحبون فور بدء مناقشة أى اقتراح آخر .

استمرت المعارك الدموية فى كل مكان ، وأخيرًا تم الاتفاق ، وسحبت الولايات المتحدة قواتها من البلاد تمامًا فى 30 أبريل 1975 . وتوحدت البلاد رسميًا بعد الانتخابات ، وأصبح يوم الثانى من يوليو 1976 هو عيد الاستقلال . كانت خسائر الأمريكيين أكثر من 58 ألف قتيل ، 153 ألف جريح ، بينما خسر الفيتناميون أكثر من مليونين أغلبهم من المدنيين .

* * *

كان ذلك خلال معركة وادى آشو Ashau Valley فى أوائل عام 1966 . وهذا الوادى الضيق يقع على بعد 112 كيلومترًا شمال غرب ميناء دانانج Danang فى فيتنام الجنوبية ، تحف به الجبال العالية بطوله ، وتظلله السحب الكثيفة معظم الوقت . ويتسع الوادى فى طرفه الغربى ، حتى داخل حدود لاوس LAOS لمسافة خمسة كيلومترات أخرى .

أقامت القوات الخاصة الأمريكية « الرينجرز Rangers » معسكرًا على شكل مثلث فى هذا الوادى ، لمراقبة المتسللين من قوات فييت كونج من الحدود اللاوسية . وكان هناك ممر للطيران Airstrip تحت الإنشاء بالقرب من المعسكر ، طوله حوالى 800 متر ، حيث يقوم المهندسون العسكريون بمد ستارة أو شبكة من الصلب المثقوب P.S.P فوق الأرض الممهدة بطول الممر . ولكن قوات الفييت كونج قررت إزالة هذا المعسكر الأمريكى بأى حال من الأحوال ، حيث يعرقل تحركاتهم . لذلك جهزوا قوات كثيفة من المشاة والمدفعية لاجتياح الوادى كله .

لم يكن من الممكن الاعتماد على الطائرات القاذفة أو المقاتلة النفاثة للتصدى لقوات المشاة المتوغلة ، طبقًا لطبيعة الأرض من جبال وغابات ، حيث كانت تضرب ضربتها ثم تعود بسرعة إلى قواعدها قبل نفاد الوقود . لذلك كان الاعتماد تمامًا فى مثل هذه الأمور على القاذفة A - 1 سكاى ريدر Sky raider ، التى يمكنها التحليق لساعتين فوق الهدف .

هذه الطائرة بريطانية الأصل ، كانت تصنعها شركة بيرمودا Bermuda خلال الحرب العالمية الثانية ، وتعرف هناك باسم بوكانير Buccaneer كقاذفة منقضة ، حيث صنع منها 340 طائرة . ولكن الولايات المتحدة أخذت التصميمات ، وأجرت بعض التعديلات لزيادة الحمولة والمدى والسرعة ، وقامت شركة ماكدونالد دوجلاس بصناعتها لحساب البحرية الأمريكية باسم سكاى ريدر . وأقصى مدى لها 4500 كيلومتر حيث طارت من نيويورك شرقًا إلى لوس أنجيلوس غربًا بدون توقف أو تزود بالوقود . وأقصى سرعة لها 480 كيومترًا فى الساعة . وهى ذات محرك مروحى واحد ، وكابينة تسع مقعدين ، ويمكنها حمل قنبلتين داخل الجسم زنة كل منهما 500 رطل ـ الكيلوجرام يساوى 2.247 رطل . كما أنها مسلحة بثمانية مدافع ورشاشات ، ومنها أربعة عيار 5 بوصات فى الأجنحة ، ورشاشين أسفل الجسم ، وآخرين فى متناول الطيار أمامه . أما المحرك فقوته 1200 حصان بريش مراوح مزدوجة ، وتبريد بالهواء .

وبطلا قصتنا هما الميجور برنارد فيشر Bernard Fisher ـ 39 سنة ـ الذى يعمل فى السرب الجوى الأول كوماندوز فى بليكو Pleiku ، على بعد 128 كيلومترًا جنوب غرب ميناء دانانج . والثانى هو الميجور ـ رائد جوى ـ دافورد مايرز Dafford Myers ـ 46 سنة ، والذى يعمل فى السرب المقاتل رقم 602 فى كوى نون Qui Nhon قرب المرتفعات الوسطى للبلاد . وهما يعرفان بعضهما منذ عام 1959 ،

حينما كانا طيارين بالمقاتلات النفاثة شمال غرب الولايات المتحدة . حينما استدعيا للعمل على القاذفات المنقضة المروحية فى فيتنام ، حيث التقيا بالصدفة أثناء المعركة فى لحظة حرجة من حياتهما .

* * *

فى العاشرة من صباح يوم 10 مارس 1966 ، كان الميجور فيشر فى مهمة عادية لقذف القنابل ، وبرفقته الكابتن فرانسسكو فازكويز فى طائرة أخرى من نفس الطراز ، حينما طلب منهما مركز التحكم بالتوجه إلى مهمة أخرى فى وادى آشو . عندما وصلت الطائرتان فوق الوادى ، وجدت هناك أربع طائرات أخرى من طراز سكاى ريدر ، تبحث عن ثغرة فى السحب الكثيفة التى تمتد من ارتفاع 60 مترًا وإلى 2400 متر إلى أعلى .

عثر فيشر على ثغرة فى السحب ، وأرشد الطيارين إليها ، فطاروا خلفه إلى الوادى ، بعد أن تركوا طائرتين للقيام بأعمال الدورية . كان الطيارون يطلقون على هذا الوادى اسم « الأنبوب » ، حيث أن طوله عشرة كيلومترات وعرضه أقل من كيلومترين ، وتحفه الجبال على جانبيه ، مما لا يسمح بأية مناورة . خاصة فى وجود السحب الكثيفة المنخفضة ، وأكثر من 20 مدفعًا مضادًا للطائرات فى مواقع جبلية محصنة بطول الوادى .

أرشدهم راديو القلعة بأن عليهم ضرب السور الجنوبى فى الحال ،

حيث وصلت إليه قوات الفييت كونج بالفعل . وأخذت الطائرات الأربع تضرب القوات الفيتنامية الشمالية عند الأسلاك الشائكة فى دورات مستمرة على ارتفاع منخفض ، رغم تعرضهم لنيران الأسلحة الأوتوماتيكية .

وأثناء ذلك ، أصيبت طائرة الميجور مايرز بدفعة كاملة من الطلقات السريعة ، فأخذ المحرك يتعثر فى أدائه ، ويتقطع فى دوراته ، بينما امتلأ كابينة القيادة بدخان كثيف . فنادى مايرز بالراديو ، ذاكرًا رمز طائرته وهو سيرف Surf 41 ، وأنه قد أصيب بشدة . وأثناء حديث مايرز مع مركز التحكم ، سمعه فيشر فى طائرته بجهاز الراديو ، ولم يكن يعرف أنه موجود فى فيتنام . ثم اقترب منه بطائرته وخاطبه بالراديو قائلاً « إن طائرتك تحترق بوضوح حتى الذيل ! »

كان على مايرز أن يهبط بطائرته على الفور قبل أن تنفجر ، وأرشده فيشر إلى الممر بصوت هادئ . ولكن سرعة الطائرة كانت كبيرة وهو يقترب من الممر ، حيث أن مايرز لم يكن ليستطيع أن يرى شيئًا من الدخان الكثيف داخل الكابينة . واقترح عليه فيشر أن يرفع العجلات ويهبط بالطائرة على بطنها . وما كاد مايرز يفعل ذلك حتى انفجر التنك السفلى للبنزين فور ملامسة بطن الطائرة لشبكة الصلب فوق الممر . كان الانفجار قويًا للغاية ، وارتفعت كرة من اللهب لمسافة 90 مترًا ، ثم انحرفت الطائرة خارج الممر ناحية اليمين ، ثم توقفت قرب جسر متهدم .

كان الميجور مايرز يخشى أن يحترق حتى الموت حيًّا ! وقد شاهد زملاء له يحدث لهم ذلك . وأمده الخوف بجرعة كبيرة من هورمون الأدرينالين Adrenaline فبدأ يتحرك على الفور للخروج من هذا الجحيم . فحرر نفسه من أحزمة المقعد ، وخلع الباراشوت وخوذة الطيران ، مما يجعله حر الحركة لترك مكانه . ثم جذب ذراعًا فارتفع غطاء الكابينة ، وأحس لدهشته برياح قوية تهب على المكان مما جعلها تشتت النيران وتفتح ممرًا وسط اللهب المتصاعد حول الطائرة . وفى الحال قفز مايرز وسار فوق الجناح ، ثم توارى فى رقعة قريبة من الأعشاب .

عندما تأكد فيشر أن مايرز قد نجى من الارتطام بأعجوبة ، نادى مركز التحكم وأبلغهم بذلك ، وأن عليهم ارسال طائرة هليكوبتر chopper بسرعة لانقاذه . فقوات الفييت كونج لا يأخذون أسرى وسط المعركة ، وسوف يقتلونه حتمًا . فى نفس الوقت الذى كان فيه مايرز يعتقد تمامًا أنه ـ حتى هذه اللحظة ـ رجل ميت ، فمن الصعب انقاذه من هذا المكان الذى يسيطر عليه الفيتناميون الشماليون . وأخذ يفكر فى زوجته بيتى Betty ، التى سوف تجد صعوبة فى تربية أولادهما الخمس .

استمرت الطائرات الأخرى فى ضرب مواقع الفييت كونج على الجانبين لاسكات نيرانها ، وإبعاد الخطر عن موقع الميجور مايرز الذى يختبئ فيه . بعد فترة قليلة اتصل مركز المراقبة بالميجور

فيشر ؛ بأن عليه الصعود إلى أعلى فوق السحب الكثيفة لارشاد طائرة الهليكوبتر عبر ثغرة ضوئية فى السحب إلى الوادى . ولكن فيشر أبلغهم أنه من الصعب عليه أن يفعل ذلك لكثافة السحب ، وأنه سوف يقوم بنفسه بإنقاذ الميجور مايرز .

★ ★ ★

طلب فيشر من طائرتى الدورية اللحاق به ومساعدته بنيرانهما ، وتغطيته أثناء هبوطه ، ثم انضم إليهما زميل فيشر عند بدء مهمتها وهو فاز كويز. واتفق هؤلاء الثلاثة على أن يضربوا الجانب الأيسر من الوادى ، وتغطية طائرة فيشر على الممر . وذلك بصورة متتابعة ، بحيث يمكن لأى منهم أن يضرب مواقع المدافع كل 15 ثانية . على أن تقوم الطائرات الثلاث الأخرى بضرب الجانب الأيمن من الوادى وقرب المعسكر الأمريكى . وكان مايرز فى تلك الأثناء قد احتمى بجدار الجسر ، حيث كان بالقرب منه فصيلة من الفيتناميين ـ حوالى 12 جنديًّا ـ ولكنهم لا يستطيعون رؤيته ، وربما اعتقدوا أنه قد احترق مع الطائرة .

وفى الواقع أن الميجور مايرز لم يفكر على الإطلاق فى إمكان القيام بعملية إنقاذ ، فهو يعرف أنه من المستحيل الهبوط بطائرة هليكوبتر وسط هذا الجحيم دون إصابتها . كما أن الممر الذى ما زال تحت الإنشاء ، قد تجعدت شبكته الفولاذية فى الكثير من

الأماكن بقنابل المورتار « الهاون » Mortar ، مخلفة حفرًا عديدة . فضلاً عن المخلفات المتواجدة فيه من أغلفة الصواريخ Rocket pods وبراميل الوقود الفارغة ، وحطام طائرته المحترقة . فلما شاهد فيشر يدور بطائرته استعدادًا للهبوط ، اعتقد أن عملية الإنقاذ التالية سوف تشملهما معًا .

أسقط فيشر آخر قنابله فى بطن طائرته على الجانب الغربى من الممر ، ثم دار بطائرته للهبوط على الممر من طرفه الجنوبى . وخفض سرعة الطائرة إلى 176 كيلومترًا فى الساعة ، وهى السرعة المناسبة للهبوط فى ممرات قصيرة . وأخذ يناور أثناء الهبوط للابتعاد عن حفر الممر ، فلم يكن يعنيه أغلفة الصواريخ التى أخذت فى التناثر بعيدًا أمام العجلات المندفعة . كان الهبوط سريعًا حتى أنه تجاوز الممر بحوالى 18 مترًا ، ثم دار بطائرته وسط عاصفة من التراب ، ثم أخذ يقطع ثلثى الممر بقوة دفع المحرك .

توقف فيشر على بعد 60 مترًا من الموقع الذى اختبأ فيه مايرز ، ثم أخذ يتخلص من أحزمة المقعد ليذهب إليه ويحمله إن كان مصابًا . فى نفس الوقت الذى كانت فيه طلقات المدافع الرشاشة تنهال على طائرته ، حتى لقد أحصى الفنيون 19 ثقبًا فيما بعد . وكانت الطائرات الثلاث تقوم بتغطيته على ارتفاع 15 مترًا فقط ، حينما أصيبت طائرة الكابتن جون لوكاس ، وبدأ الدخان يتسرب إلى كابينته .



هبط فيشر بطائرته تحت النيران لإنقاذ زميله مايرز



اعتمدت القوات الأمريكية على طائرات سكاى ريدر فى حرب فيتنام لطبيعة الأرض

رفض الكابتن لوكاس اقتراح زميليه بالخروج من المكان والعودة بسرعة إلى قاعدته، واقترح فى المقابل القيام بدورة أخرى فوق مواقع الفيتناميين، ولتغطية مهمة فيشر التى قاربت على الانتهاء. فلما أكد له زميليه أنهما فى حالة «وينشستر» Winchester – وهو تعبير متعارف عليه بين الطيارين يعنى أن الذخيرة قد نفدت – قال لهما أنه هو أيضًا كذلك، ولكنهم «أى الفيتناميين» لا يعرفون ذلك. ومن أجل هذه المحادثة اللاسلكية المسجلة فى مركز المراقبة، حصل الكابتن لوكاس — فيما بعد — على وسام النجمة الفضية «للبسالة ولمحة القيادة التى أبداها».

كان فيشر على وشك القفز من طائرته، حينما شاهد مايرز يتعلق بالجناح، ثم يزحف عليه بسرعة حتى الكابينة، بينما طلقات الرصاص تتناثر من حولهم من كل مكان. وقفز مايرز داخل الكابينة برأسه أولاً، بينما أطلق فيشر العنان لقوة المحرك بالكامل. ولم تأخذ عملية الإنقاذ سوى 15 ثانية فقط، ولكنها كانت لحظات أبدية وسط هذه المخاطر الشديدة.

عندما ارتفعت الطائرات إلى أعلى فوق السحاب، تمكن الكابتن لوكاس من اخماد النيران فى طائرته باستخدام عتلة خاصة، حولت المياه المضغوطة فى جهازه الهيدروليكى إلى مكان الحريق. ولم يكن يستطيع أن يفعل ذلك أثناء المعركة لاحتياجه لهذا الجهاز.

انتهت معركة وادى آشو – رغم ذلك – بصدور أمر القيادة الأمريكية فى فيتنام بسحب القوات الخاصة من الموقع فى نفس المساء. وقامت طائرات الهليكوبتر على مدى ثلاثة أيام تالية بإجلاء كافة المواقع المتناثرة فى المنطقة، مع تدمير المعدات التى لا يمكن نقلها.

بعد يومين من عودتهما، دعى الميجور فيشر، والميجور مايرز لمقابلة الليوتانت جنرال – فريق جوى – جون مور، قائد القوات الجوية الأمريكية فى فيتنام، حيث منح الميجور فيشر «وسام الشرف» الذى صدّق عليه. وميدالية الخدمة الممتازة للميجور مايرز.



بتصرف مختصر عن المصدر :

The Saturday Evening post, by Rechard Armstrong,dated 4 june 1966, Independence square, philadelphia, pennsylvania 19105, U.S.A.

فهرس



وقائع حقيقية

وأحداث غريبة

ليس لها أي تفسير على الإطلاق

حدث بالفعل

يقدم هذا الكتاب ألوانا متعددة من البذل والعطاء والتضحية . تنطوي على الكثير من الصدق والنبل مما يعطر حياتنا . ويرفع من قيمتها . ويعطيها المعنى والهدف .

ولا بد أن يكون هذا العطاء من ذات الإنسان ومن داخله وعن طيب خاطر . وهو شيء نادر بالفعل في هذا العالم الذي يحفه الشقاء والبؤس والقحط . ويشمل ذلك أنواعا كثيرة كالشهامة والبطولة والفروسية والتضحية بالنفس .

ولكن هناك ألوانا أخرى غير براقة كتربية الأطفال ومحاولة إسعادهم . والتيسير على الناس وقضاء مصالحهم . وحتى الاستقبال البشوش دون جهامة . أو حفظ ماء الوجه . أو غيرها من الأفعال الخيرة التي نبذلها لأنفسنا في الواقع ويعلمها الله .

وكل هذا العطاء - في أية صورة من صوره - سوف يرتد إلينا مرة أخرى . بطريقة غير متوقعة عبر حياتنا ومن مصدر آخر ؛ فالحياة معادلة بسيطة تعطي بقدر ما تأخذ . على أن يكون هذا العطاء ابتغاء وجه الله . فهذا أرفع درجات الإنفاق .



طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن في مصر ٣٠٠ ص

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم